مجلة المنار

المجلد الرابع والعشرون

الجزء الثاني

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

إهداء من

تابعوا ...

WWW.ALUKAH.NET

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُرًى « وضاءا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤١ ـ ٢٧ الدلو (ش ٢) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٦ فبراير ١٩٢٣

﴿ فتاوى المنار ﴾

عقود ضمان الحياة والمال من التلف والمكوس وقراءة العامي للحديث

(س ٣ — ٥) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة الاستاذ الفاضل واللوذعي الكامل مولانا السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء لازال منارا للاسلام، وكهفا للانام . أتقدم الى موائد علمكم الشريف بالاسئلة الآتية :

رجل ضمن محل تجارته من الحريق في احدى شركات الضمان (السيكورتاه) على مبلغ معين من المال وقدر الله واحترق ذلك المحل فهل يجوز له شرعا مطالبة شركة الضمان بهذا المبلغ ويكون حلالا له أم لا ؟ وهل كل انواع الضمانات ضد الحريق والحياة والغرق والسرقة شرعية يجوز عملها أم لا ؟ وهل الرسوم الجمركية التي تؤخذ على البضائع التجارية هي من المكوس المحرمة التي لا يجوز أخذها ؟ وإذا كانت حراما أيجوز للانسان دفعها ولا يأثم على ذلك أم لا ؟

وهل يجوز للعامي الذي لا يعرف نحواً ولا صرفا أن يقرأ حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم مع اللحن فيه ام لا ؟ تفضلوا بينوا لنا ذلك والله يجازيكم على نشر أحكام شرعه أحسن الجزاء

السائل

محمد طاهر اللادقي ببيروت

(ج) ١ — كل ما في السؤال الاول فهو من المعاملات المالية غير المشروعة في الاسلام فلم يرد بها نص من الشارع، ولم يقررها بالاجتهاد امام عادل، وانما هي من العقود الحادثة عند أولي المدنية المادية في هذا العصر . ومن التزمها في غير دار الاسلام والعدل لزمته شاء أم أبى ، وانما هو مخير في أخذ ما ثبت له دون ما ثبت عليه ، والمؤمن في غير دار الاسلام أن يأكل مال اهلها بعقودهم ورضاهم فهو لا يكلف معهم التزام احكام دار الاسلام التي يلتزمونها ، ولكن عليه ان يحاسب نفسه على اضاعة ماله باختياره فيما له مندوحة عنه ، وليس له ان يخون الحكومة غير الاسلامية بدارها في المكوس المقررة عندها في نظامها ، واما اذا استطاع اسقاطها او تخفيها بغير السرقة والخيانة فلا بأس .

٢ — وأما المكوس في دار الاسلام فقد ورد في السنة مايدل على تحريمها وهو معروف وجماهير الفقهاء يحصرون مال الحكومة الاسلامية بما يذكرونه في كتب الفقه كالغنائم والخراج وزكاة أموال المسلمين وجزية الذميين وما يستخرج من الارض من الدفائن والمعادن . ولكن بعض المحققين بينوا أنه يجوز للامام (العادل) استحداث ضرائب جديدة اذا توقف عليها القيام بأمور الملك، وحاجة الجند

قال الامام الشاطبي في المثال الخامس للمصالح المرسلة من كتابه الاعتصام (ص٩٥ ج٢) مانصه: « اذا قررنا اماما مطاعا مفتقرا الى تكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك المتسع الاقطار، وخلا بيت المال، وارتفعت حاجات الجند الى مالا يكفيهم (اي بيت المال) فللامام اذا كان عدلا ان يوظف على الاغنياء مايراه كافيا لهم في الحال ، الى ان يظهر[1] مال بيت المال. ثم اليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك . . . (قال) وانما لم ينقل ذلك عن الاولين لاتساع مال بيت

(١) لعله يكثر

المال في زمانهم بخلاف زماننا . فان القضية فيه احرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر فانه لو لم يفعل الامام ذلك النظام ، بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار ، وانما نظام ذلك كله شوكة الامام بعده فالذين يحذرون من الدواهي لو تقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها ، فضلا عن اليسير منها » الخ

ونقول إن حاجة الجند في زمن المؤلف رحمه الله وهو من علماء الاندلس في القرن الثامن لا تذكر بالنسبة الى حاجتهم في زماننا هذا الذي تنفق الدول فيه اكثر اموالها في الجندية وحاجها فقد صارت العلوم والفنون والاسلحة البرية والبحرية والجوية فيها اوسع علوم البشر واعمالها . ويتعذر إقامة حكومة اسلامية صحيحة تلتزم احكام فقه لا تكون مراعاة المصالح المرسلة من قواعده . ولا يكون امامها (الخليفة) واهل الشوري لديه او بعضهم من العلماء المجتهدين في احكام الشرع

٣ — يجوز للعامي ان يطالع كتب السنة للاستفادة منها فان عوام العرب يفهمون كثيرا منها فهما صحيحا . واذا اراد ان يحفظ حديثا ليرويه ويفيد الناس به فعليه ان يعتمد على بعض اهل العلم في ضبط الفاظه وفهم معناه ودرجته في الصحة وما يقابلها

﴿ التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ﴾

(س ٩) ومنه

الفاضل الهمام مفتي الانام ، مقتفي أثر سيد الاقوام، السيد محمد رشيد افندى رضا دام بسلام

قال بعض أهل العلم: ان الصورة اذا كانت غير كاملة أعني مشتملة على النصف الاعلى للانسان لا بأس بها ولم أعثر على دليل يجوز ذلك من الكتاب ولا من السنة بل الاحاديث الصحيحة الموجودة تحرم ذلك قطعا وقد ورد عن الرسول (ص) انه قال : « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ » رواه البخاري ومسلم : وقد ورد في الصحيح . « ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » او ما معناه وفي كتاب الترغيب والترهيب للشيخ الامام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة ٦٥٦ ما نصه وعن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الكآبة فسألته ماله فقال لم يأتني جبريل منذ ثلاث » فاذا جرو كلب بين بيوته فأمر به فقتل فبدا له جبريل عليه السلام فهش اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم تأتني فقال « انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا تصاوير » رواه احمد ورواته محتج بهم في الصحيح ورواه الطبراني في الكبير بنحوه اهـ فيؤخذ من ذلك تحريم التصوير مطلقا سواء كان باليد أو بالآلة الفوتغرافية وأيضا التماثيل النحاسية والجبسية وغيرها وقد رأينا للاستاذ الامام مفتي الديار المصرية سابقا المرحوم الشيخ محمد عبده رسما فوتغرافيا لهيئته الكريمة على ما نعلمه من طول باعه وكثرة بحثه واطلاعه وغيرته على الدين القويم وسلوكه الطريق المستقيم وتمسكه بالكتاب والسنة وازالته للشبه والبدع فلعل فضيلة الاستاذ الامام قد اطلع على ما غمض عن الافهام بجواز حل ذلك وليس بخاف أن الاحاديث لم تقيد بزمن مخصوص بل هي عامة في جميع الازمان فألتمس من فضيلتكم الجواب بتفصيل ذلك —

محمد طاهر اللادقي

(ج) تكرر بيان حكم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل في مجلدات المنار ويجد السائل اختلاف أقوال الفقهاء في المجلدين الرابع عشر والخامس عشر وفي مجلدات اخرى وأما توفية المسألة حقها وتحرير القول في أدلتها والتحقيق فيها فيجده في ج ٥ و ٦ من المجلد العشرين ولا يمكن إعادة نشره لطوله

﴿ بيع الغائب وما ليس بمملوك ﴾

(س٧) ومنه اذا اشترى تاجر بضاعة غير حاضرة من تاجر آخر أو قومسيونجي ودفع له الثمن او عربونا على ان يسلمه إياها بعد شهرين حتى تحضر من محل موردها فباعها المشتري قبل حضورها واستلامها لتاجر آخر وهكذا بيعت لاشخاص كثيرين قبل حضورها فهل هذا البيع مباح شرعي أم لا ؟ وهل يجوز لمن اشترى ان يبيعها بثمنها الاصلي أو بربح أو بخسارة للتاجر أو للقومسيونجي الاول أم لا ؟ تفضلوا ببيان ذلك لا زلتم هادين مهديين وللحق ناصرين ؟

(ج) بيع البضاعة المملوكة الغائبة جائز شرعا ، وكذا بيع ماهو غير مملوك الى أجل اذا عينه بالوصف والقدر المانع للغش وهو الذي يعرف في الشرع بالسلم وله شروط يسأل العلماء عنها من لايعرفها اذا احتاج اليها ولكن ورد في حديث أبي هريرة عند مسلم مرفوعا « من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله » وفي رواية « حتى يقبضه » وأخرى « حتى يستوفيه » وفي حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا « لا يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا بيع ماليس عندك » رواه احمد وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي منهم وكذا ابن خزيمة . وفي الاحتجاج بحديث عمرو هذا خلاف ولكن هذا الحديث عنه قد صرح فيه بالسماع وبذكر جده الاعلى عبد الله بن عمرو فالخلاف فيه ضعيف . والمراد بالسلف فيه القرض اذا بايعه عليه لاجل النقص من الثمن . قال النووي في شرح حديث مسلم المذكور آنفا ومافي معناه : وفي هذه الاحاديث النهي عن بيع المبيع حتى يقبضه البائع واختلف العلماء في ذلك فقال الشافعي لا يصح بيع المبيع قبل قبضه سواء كان طعاما أو عقارا او منقولا او نقدا او غيره . وقال عثمان البتي يجوز في كل مبيع وقال ابو حنيفة لا يجوز في كل شيء الا العقار . وقال مالك لا يجوز في الطعام ويجوز فيما سواه ووافقه كثيرون ، وقال آخرون لا يجوز في المكيل والموزون ويجوز فيما سواهما . ثم ذكر ان قول عثمان البتي شاذ . واقول : ان مذهب مالك هو الوسط المعتدل في المسألة اذ اقتصر على منطوق الحديث فان نوطه هذا الحكم بالطعام ليس عبثا فان قوت الامة لا يصح ان تعبث به الحيل التجارية ولا ان يكون من ذرائع الربا الذي حرمه الله فيه وفي النقدين بالاجماع . والله اعلم واحكم

﴿ قتل الرجل امرأته ﴾

(س ٦) من صاحب الامضاء في الكويت

الى استاذنا صاحب المنار ادامه الله

قتل رجل زوجه بلا مسوغ وله بنت قاصر منها افتونا برأيكم في القاتل ومايكون الحكم عليه في مذهب الشافعي لازلتم منارا يستضاء بكم عبد الرحمن النقيب

(ج) جاءنا هذا السؤال فلم نعلم المراد منه فان المتبادر منه أن القتل كان عمدا وحكم القاتل المتعمد معلوم من الشرع بالضرورة بشروطه إذا ثبت شرعا ، فعسى أن يوضح السائل سؤاله ويصرح بالامر الذي يطلب بيان حكمه

الخلافة الاسلامية

(٣)

﴿ ٢١ — مقاصد الناس في الخلافة وما يجب على حزب الاصلاح ﴾

الامور بمقاصدها — ومقاصد الناس في الخلافة مختلفة وقلما يقصد أحد منهم إقامة الخلافة الصحيحة الشرعية التي بينا حقيقتها وأحكامها ، ذلك بأن أكثرهم لا يعقلها ، ومن يعقلها من غير الاكثرين يظنون إقامتها متعذرة ، وانه لا مندوحة عن الرضى بخلافة الضرورة ، التي لا تراعى فيها جميع الشروط الشرعية ، ولا جميع ما يجب على الخليفة والجماعة ، ثم هم يختلفون في حد هذه الضرورة لاتساع مجال الرأي والهوى فيه حتى لا يبقى بينهم وبين من لا يعرفون حقيقة هذا المنصب ومنافعه كبير فرق ، ولو عرفها السواد الاعظم لتمنوها ، ولو وضع نظام لاقامتها ودعوا اليه لاجابوا ، وبذلوا في سبيله ما استطاعوا

باحثت كثيراً من خواص المصريين المعممين وغير المعممين في هذه المسألة فألفيتهم متفقين على أن القصد من تأييد الخلافة الجديدة التي ابتدعتها حكومة أنقرة الجمهورية في الاستانة خذلان الدولة البريطانية في دسائسها التي ترمي بها الى جعل هذا المنصب الاسلامي الرفيع آلة في يدها فيما كانت تسعى اليه من اصطناع الملك حسين في مكة والسلطان وحيد الدين في الآستانة وما آل اليه سعيها من الجمع بينهما بعد تهريبها الثاني الى مالطة ، ولم يقصد أحد من المصريين بتأييد الخليفة الجديد بالتهنئة ولا المبايعة أن يكون له على بلادهم حق إمام المسلمين الاعظم على الامة من كون حكومتهم تابعة له وخاضعة لسلطانه فيما يرى فيه المصلحة من نصب أمرائها وحكامها وعزلهم وجباية المال واخذ الجند للجهاد ولا غير ذلك من وظائف الخلافة التي ذكرها علماء الاسلام — وهذا كما ترى غرض سياسي فائدته سلبية والباعث عليه الشعور الاسلامي العام الذي ولده الضغط الاجنبي ومحاولة هذه الدولة لاستعباد الشعوب الاسلامية التي بقي لها بقية من الاستقلال ولا سيما الترك والعرب ، وهو لا يتوقف على وجود الخلافة الصحيحة ولا الامام الحق والجماعة ، بل هو من قبيل المظاهرة السياسية للزعيم السياسي سعد باشا زغلول بل دونها قوة ، لاجل هذا لا يبالون ما كانت

شروط هذه الخلافة وأعمالها ، ومثلهم في ذلك سائر مسلمي أفريقية وأمثالهم من المستذلين للاجانب، على ان هؤلاء يتمنون لو يكونون تابعين للدولة التركية ويعلمون ان ذلك متعذر ولكن ساسة المصريين لا يتمنى أحد منهم ذلك

ومسلمو الهند أشد عناية من سائر مسلمي الارض بهذا الامر ، ونصرهم للخلافة التركية إيجابي وسلبي لا سلبي فقط ، ولا يرضون أن تكون خلافة روحانية لاحكم لها ولا سلطان، فاذا تساهلوا في بعض شروطها التي توجبها مذهبهم الذي يتعصبون له أشد التعصب بشبهة الضرورة فلا يتساهلون في أصل موضوعها والمقصد الذي شرعت لاجله وهو اقامة أحكام الشرع الاسلامي في العبادات والمعاملات المدنية والسياسية وغيرها — فهم يحتمون أن يكون الخليفة — وان متغلبا — رئيس الحكومة الاسلامية الاعلى ، ثم لا يسألون بعد ذلك أقام أحكام الشرع أم لا ، بدليل ما كان من تعصبهم لعبد الحميد الذي جعل نفسه فوق الشرع والقانون — فكان مستبداً في كل شيء — ثم لمحمد رشاد الذي لم يكن بيده من الامر شيء — وكذا للاتحاديين الذين سلبوه كل شيء — ، ثم لوحيد الدين الى أن فرّ مع الاجانب مغاضبا لقومه ولسائر المسلمين،

فاذا ظل هذا منتهى شوطهم، فلا حياة للخلافة الصحيحة بسعيهم، ولا حاجة الى تأليف حزب أو جمعية غير ما عندهم، ويمكن على هذا ارضاؤهم بالخلافة الروحية بحيلة لفظية، كأن تشترط الحكومة الفعلية على من تسميه خليفة أن يفوض اليها أمر الاحكام كلها أو ما يسمونه الآن في عرف القوانين بالسلطتين التشريعية والتنفيذية . وان كان يعلم هو وسائر الناس ان التفويض الصحيح في الشيء انما يكون ممن يملكه ويكون مختاراً فيه وانه لا يسلبه حق مراقبة المفوض اليه ومؤاخذته ولو بالعزل ، اذا خالف نصوص الشرع أو خرج عن جادّة العدل ، بل هذه المراقبة على الوزراء والامراء والقواد والقضاة واجبة على امام المسلمين وهو مقيد فيها وفيما يترتب عليها بنصوص الشرع وبمشاورة أهل الحل والعقد، لا مستبد في الامر

اذا ظل المسلمون على هذه الحالة فلا امامة ولا امام ، وقد أنى لهم أن يفقهوا أن جعل ما سموه أحكام الضرورة في خلافة التغلب أصلا ثابتا دائما هو الذي هدم بناء الامامة ، وذهب بسلطة الامة المعبر عنها بالجماعة ، وترتب

عليه تفرق الكلمة، وضعف الدين والدولة ، وظهور البدع على السنة. وقد انقلب الوضع وعم الجهل، حتى صار الالوف من كبراء حكام المسلمين وقوادهم وزعمائهم في دنياهم يظنون في هذا العصر ان منصب الخلافة وغيره من أحكام الاسلام هي سبب ضعف المسلمين وانه لا تقوم لهم بها قائمة ، ولا يكونون مع التزامها أمة عزيزة غنية — والامر بالضد

والعلاج الشافي من هذا الداء ، والدواء المستأصل لهذا الوباء ؛ هو إحياء منصب الامامة ، باعادة سلطة أهل الحل والعقد المعبر عنهم بالجماعة ، لاقامة الحكومة الاسلامية الصحيحة ، التي هي خير حكومة يصلح بها أمر المسلمين بل أمر سائر البشر ، بجمعها بين العدل والمساواة وحفظ المصالح ومنع المفاسد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكفالة القاصرين والعاجزين ، وكفاية الفقراء والمساكين من صدقات المسلمين ، ففيها علاج لجميع المفاسد الاجتماعية ، في حكومات المدنية المادية ، التي ألجأت الجماعات الكثيرة الى البلشفية والفوضوية

فاذا أقيم بناء حكومة منظمة على هذه الاسس والقواعد لا تلبث بعد ظهور أمرها ، أن تكون قدوة للامم الحرة التي أمرها بيدها ، ولا يستطيع أكابر مجرميها ، أن يمكروا بعد ذلك فيها ، ليصدوها عنها ويفووها . وحينئذ ينجز الله وعده لنا ، كما أنجزه لمن قبلنا ، في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

فالواجب على حزب الاصلاح الذي نقترحه أن يوجه كل قصده وهمه أولا الى بيان شكل لحكومة الخلافة الاسلامية الاعلى بالنظام اللائق بهذا العصر الذي امتاز بالنظام على سائر العصور ، ثم يحاول اقناع أصحاب النفوذ في البلاد الاسلامية المرجوة لتنفيذه بما فيه من المصالح والمنافع والسعادة ، وبتفضيله على جميع أنواع الحكومات في العالم كله ، وبامكان تنفيذه ، ودفع كل ما للمستفرنجين واليائسين من الشبهات على ذلك ، وكل ذلك سهل كما جربنا بأنفسنا ،

٢٢ — علاقة الخلافة بالعرب والترك

ثم ليعلم هذا الحزب ان الفوز في هذا يتوقف على التأليف والتوحيد بين العرب والترك واتفاقهما عليه ولو بالجملة ومراعاة ما قوي في هذا العصر من العصبية

الجنسية مع اتقاء ضررها بقدر الاستطاعة ، وكذا عصبية المذهب عند طائفة الزيدية ، لا لان جمع الكلمة ووحدة الامة من أهم ما يجب من أعمال الخليفة فقط بل لان النجاح المطلوب في هذا الامر يتوقف على تعاون الشعبين عليه . ذلك أن احياء منصب الخلافة الصحيحة، يتوقف على إحياء الدين والشريعة ، وانما يكون هذا بالعلم الاستقلالي في الدين المعبر عنه بالاجتهاد المطلق ، وهو يتوقف على اتقان اللغة العربية، لاجل فهم الكتاب والسنة، فعلاقة هذا المنصب بلغة العرب وبتاريخ العرب وببلاد العرب جلي ظاهر، فثم مهبط الوحي، ومظهر الاسلام الحق، حيث قبلته ومشاعر دينه، وموضع اقامة الركن الاجتماعي العام من أركانه، ولا يمكن أن يماري في هذا من يماري في اشتراط النسب القرشي فيها خلافا لمذاهب السنة كلها أو العلوي الفاطمي خلافا لمذاهب الشيعة وخاصة الزيدية. العرب قوة عظيمة للخلافة ولكنها غير منظمة ولا متحدة كقوة الترك ، والعمل بالشريعة في حكومات جزيرة العرب المستقلة وأهلها أتم وأكمل منه في بلاد الترك، ولكن هذه الحكومات غير قادرة الآن على اظهار حضارة الاسلام ولا على نشر دعوته الصحيحة على الوجه الذي يحرك الى النظر كما اشترط بعض علماء الكلام والترك أقدر منهم على الاول وأعظم عونا على الثاني اذا قنعوا باقامة الامامة الحق على صراطها المستقيم. فكل من هذين الشعبين يمكن أن يكمل ماينقص الآخر في ذلك مع استقلال كل منهما في ادارة بلاده وسياستها والسيادة فيها وارتباط كل حكومة مستقلة فيهما — وكذا في غيرهما . . بمقام الخلافة مباشرة بالرضى والاختيار خضوعا لحكم الشرع من جهة وانتفاعا بما يمكن من الوحدة الاسلامية في كل وقت بما يناسبه من جهة أخرى

لو اتفق رؤساء حكومة جزيرة العرب على جعل واحد منهم خليفة للمسلمين وبايعوه مع علماء بلادهم وقضاتها وقوادها لما كان للترك أدنى وجه لمعارضتهم بخليفة ينصبونه في الآستانة وإن أعطوه حقوق الامامة الشرعية — وما هم بفاعلين — بل لو اتفق أهل الحجاز وتهامة ونجد أو اكثرهم على مبايعة إمام اليمن المشهود له بالعلم والعدالة والكفاية ، وأعلن هذا أنه يجري على قواعد الاجتهاد في إمامته ويقر أهل كل مذهب على مذهبهم لما استطاع أحد من علماء المسلمين لا العرب ولا العجم أن يطعن في خلافته أو يرجح عليها خلافة أخرى ، الا أن يتبع

أحد هواه فلا يكون لقوله قيمة ، ولا سيما اذا قام هذا الامام بالاصلاح الديني في الحجاز وسائر بلاد العرب ونظم قوى الامامة التنظيم الذي تقتضيه حالة العصر وما هو بعسير ، واذا فات هذه الامامة اعتراف بعض الاقطار الاسلامية بها اليوم فلا يفوتها ذلك غدا بعد بث الدعوة ولو في موسم الحج وحده والدين عون لهم وظهير ، ولكن اكبر مصائب العرب التفرق وحب الرياسة

ومكانة مصر تلي مكانة جزيرة العرب في هذا الامر لو كانت مستقلة وارادت اقامة الخلافة الشرعية الصحيحة ولكن المتفرنجين فيها كالمتفرنجين في الترك يأبى أكثرهم ذلك ويجهل قيمته. والدولة البريطانية عدوة الخلافة والعرب تعارض هذا وذلك بكل قواها ، وقد كان نصرها الترك على محمد علي خوفا من تجدد شباب الاسلام بدولة عربية. وهي تعتقد ان الترك لا يجددون حياة الخلافة الصحيحة أبدا ولا ينشرون دعوة الاسلام. وكان هذا أحد أسباب تأييدها لهم وخلافتهم في الجملة. وكل ماقيل من أن الانكليز كانوا يسعون لاقامة خلافة عربية في مصر أو الحجاز قبل الحرب الكبرى فهو كذب محض ، ولو فعلت ذلك مصر لاتبعها الحجاز حتما وكذا سورية اذا استطاعتا بل تتمنى هذه الاقطار اتباعها ولو بدون اقامة الخلافة فيها ، ولعل أهل السنة وكثير من الشيعة في العراق لا يأبون هذه الوحدة العربية

يظن بعض الناس أنه ينقص البلاد العربية شيء أهم من هذا الامر السلبي وهو الضعف وفقد الشوكة التي يحمون بها الخلافة ومقام الخلافة ، بله القدرة على ما يقدر عليه الترك من الجهاد والفتح . وهذا الظن باطل فان اليمن وحدها قد حفظت استقلالها ومنصب الامامة فيها اكثر من ألف سنة ، وان الترك قاتلوا أئمة اليمن زهاء أربعة قرون وما استطاعوا القضاء على إمامتهم ولا الاستيلاء على جميع بلادهم ، مع كثرة من ظاهر الترك من أهل البلاد بسبب اختلاف المذهب . ولولا قوة اليمن لاستولى عليها الانكليز من عهد بعيد كما صرح بذلك أحد ولاة عدن منهم امام زعيم عربي حضرمي قال : لو لا هذا الامام الذي عنده نصف مليون مقاتل لو قال لهم ألقوا أنفسكم في النار أطاعوه — لاستولينا على جميع جزيرة العرب بغير قتال يذكر

هذا وان جزيرة العرب لا يخشى عليها من غير الانكليز ، وهؤلاء لا

يحاولون فتحها بالسيف والنار لموانع كثيرة — منها أنهم لايقاتلون شعباً قويا حربيا بالطبع في بلاد وعرة كثيرة الجبال والاودية خالية من سكك الحديد وسائر أنواع المواصلات ، ومنها أن قتال أهل هذه البلاد كثير النفقات قليل الربح بل لا ربح فيه الا اذا تيسر أخذ البلاد وأنفق على الاصلاح فيها ملايين كثيرة نقداً لاجل الربح نسيئة، وانما يطمعون في الاستيلاء عليها باصطناع أمرائها وكبرائها بالدسائس والدراهم ، والتدخل فيها بحيل التجارة والامتيازات الاقتصادية بالتدريج ، وقد بذلوا في هذه السبيل أموالا عظيمة ولا يزالون يبذلون ولم يستفيدوا به شيئاً ثابتاً يوازيه ولا قدروا أن يصطنعوا به أحداً من أولئك الامراء الا ملك الحجاز وأولاده، ولن يستطيع هؤلاء بعد اليوم أن يعملوا لهم شيئاً لان الامة العربية قد عرفت كنه جنايتهم عليها فدوام استمساك الدولة البريطانية بهم لا يزيدها ويزيدهم الا مقتاً عند العرب وعند سائر المسلمين

بل نقول انه ليس من أصول السياسية البريطانية الفتح بالقوة العسكرية مطلقا، ولم تكن الدولة العثمانية هي المانعة للانكليز من فتح هذه البلاد قبل اليوم، فان الدولة لم تكن تستطيع إرسال جيش اليها الا من طريق البحر ، ومتى كان لها أسطول يقارب أحد الاساطيل البريطانية فيتمكن من ارسال الجند والذخيرة الى اليمن وحماية سواحلها وسائر سواحل الدولة من الانكليز اذا وقعت الحرب بينهما ؟ ولماذا لم نحم مصر أو تخرجهم منها ؟

وأما كون أهل جزيرة العرب لا يستطيعون الجهاد بقصد الفتح كالترك وهو ما فضل به الترك بعد الباحثين معنا في المسألة فيقال فيه ان من فضل الله على جزيرة العرب أنه ليس فيها شعوب أجنبية مختلفة في الجنس أو الدين يتحاكون بالعرب فيغرونها بفتح بلادهم ، وان الترك لا يرون شيئا أسلم لهم في بلادهم من اخراج الشعوب المخالفة لهم في الجنس والدين ليستريحوا من هذا التحاك وغوائله ، ولن يقدموا على قتال أحد من جيرانهم لاجل فتح بلاده — وقد كانت حروبهم في القرون الاخيرة كلها دفاعا للمعتدين أو مقاومة للثائرين، ولم يكن شيء منها لاجل سعة الملك ولا لاجل نشر الدين ، وهم أحوج الناس الى الاستراحة من القتال والانصراف الى عمران بلادهم وما يتوقف عليه من العلوم والفنون ، والطامعون في سعة الملك منهم انما يطمعون في ضم

الشعوب الاسلامية الشرقية اليهم التي يمكنهم أن يجنسوها بجنسيتهم اللغوية كالكرد والجركس والتتار وسائر شعوب الجنس الطوراني . وأما الدعوة الى الاسلام من غير قتال فالعرب أقدر عليها من الترك وهم دعاة بالطبع وقد أسلم الملايين من سكان افريقية وجزائر المحيط الجنوبي بدعوة تجار العرب والدراويش السائحين منهم، وحرية الاعتقاد في أكثر حكومات هذا العصر تغني خليفة المسلمين عن القتال لحماية الدعوة وحرية الدين كما كان عليه خلفاء العرب من الاولين

إننا على علمنا بما ذكرناه نود أن يتعاون الترك والعرب على إحياء منصب الخلافة وسنذكر ما يمتاز به الترك على العرب في هذا المقام ليعلم ان كلا من الشعبين عاجز بانفراده قوي بأخيه على النهوض باعباء هذا الاصلاح العظيم ، الجدير بأن يغير نظام العالم وينقذ الشرق والغرب من الهلاك . وما نقترحه من وسائل التعاون والاتفاق خاصة بما سيتقرر من الخلافة الصحيحة الدائمة مع السكوت عن التعدد المعروف في الحال الحاضرة في الشعبين ، وذلك بأن يكون الذين يعلمون ويرون ليرشحوا للانتخاب الشرعي بالشورى من بيوتات شرفاء قريش وسادتها ، وان تكفل الدولة التركية هذا الاستعداد وتشرف على جميع شؤونه حتى لا يكون للتنافس فيه بين الشعبين أدنى مجال ، بل حتى يكون احياء هذا المنصب من أكبر أسباب الاتحاد والتعاون بينهما ، واذا شاء الترك حينئذ ان يكون مقام الخليفة في بلادهم فعلى حزب الاصلاح أن يقنع العرب بذلك ، وان كنا نرى ان الاجدر بالقبول الآن ان يكون في منطقة وسطى بين بلاد الشعبين، على ما سنفصله بعد

والقسمة في مسألة مقام الخليفة ثلاثية وهي اما ان يكون في بلاد العرب أو الحجاز خاصة واما في بلاد الترك أو الآستانة خاصة وإما في منطقة وسطى مشتركة

٢٣ — جعل مركز الخلافة في الحجاز وموانعه

قد علمنا مما تقدم أن بلاد العرب بل جزيرتهم بل الحجاز منها هو أولى بلاد الاسلام بأن يكون موطن الخلافة الاسلامية، ويزداد هذا ظهوراً ببيان الاصلاح الديني الذي يجب على الخليفة في هذا العصر ، ولكن في الحجاز موانع تحول اليوم دون إمكان وجود الخلافة الصحيحة التي يرجوها المسلمون

فيه حتى في حاله الحاضرة التي لا يرضى أهل قطر اسلامي آخر معها ان يكون تابعا له فكيف اذا أريد أن يسوس بلاد العرب كلها أو يدير شؤون غيرها من البلاد الاسلامية — فكيف اذا أريد أن يكون المثل الاعلى لافضل حكومة لا يرجى اصلاح حال البشر بدونها — واننا نذكر المهم منها — والحال هذه — وهو

(١) ان الملك المتغلب على الحجاز لهذا العهد يعتمد في تأييد ملكه على دولة غير اسلامية مستعبدة لكثير من شعوب المسلمين وطامعة في استعباد غيرهم ولا سيما العرب، وقد أوثق نفسه معها بعقود بل قيود واعترف لها فيها بأن الامة العربية منها بمنزلة القاصر من الوصي وان لها حق تربيتها وحمايتها من الداخل والخارج حتى حق دخول بلاده بالقوة العسكرية لكبح الثورات الداخلية، ومن شاء فليراجع نص هذه الوثائق في المجلد الثالث والعشرين من المنار (ص ٦١٢ — ٦٢٤)

(٢) ان هذا الملك قد لقب نفسه بملك العرب وهو يسعى لان يعترف له بأنه هو الزعيم الاكبر للامة العربية والممثل لجميع حكوماتها المستقلة لتكون كلها موبقة وموثقة ومرهقة بتلك العهود السالبة لاستقلالها على أن كل حكومة من الحكومات العربية المجاورة له أقوى وأصلح من حكومته من كل وجه وغير مقيدة نفسها بعهود سالبة للاستقلال

(٣) إنه قد رضي أن يجعل ولديه رئيسين في بعض البلاد العربية التي استولت عليها الدولة الاجنبية المذكورة تابعين لوزارة الاستعمار في تلك الدولة كالكثير من مستعمراتها التي لها رؤساء وطنيون، فكانوا بذلك أول من دان واعان دولة أجنبية غير مسلمة على استعمار بلاد العرب

(٤) ان حكومته استبدادية شخصية غير مقيدة بشيء فهو يفعل ما يشاء ويحكم مايريد. مثال ذلك مانسمعه وما نراه في جريدتها المسماة بالقبلة من أخبار المصادرات المالية والغرامات الرسمية وغير ذلك مما لانعرف له أصلا في الشرع الاسلامي. وأما القوانين الوضعية فهو يحرمها ويكفر العاملين بها !!

(٥) ان هذه الحكومة خصم لكل علم يعين على الاصلاح الديني والدنيوي فهي على كراهتها للعلوم والفنون العصرية حتى تقويم البلدان تمنع

كثيرا من الكتب الشرعية ككتب شيخي الاسلام المصلحين الكبيرين ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من الحجاز

(٦) ما ثبت بالدلائل المختلفة من حرص أهل هذا البيت على الخلافة والامارة والملك ولو في ظل الامارة الاجنبية غير الاسلامية وقد سبق في المسألة العاشرة من هذه المباحث ان طالب الولاية لا يولى

(٧) ان اهل هذا البيت فاقدون لاهم شروط الخلافة ولا سيما العلم الشرعي بدليل ما نقرأه في منشورات الملك الرسمية وبلاغات حكومته من الاغلاط اللغوية والآيات القرآنية المحرفة والاحاديث الموضوعة على الرسول (ص) والتفاسير المخالفة للغة ولاجماع المفسرين وغير المفسرين، مع الاصرار على ذلك وعدم تصحيحه الدال على أنه لا يوجد عالم في الحجاز كله يتجرأ على تصحيح آية أو حديث أو حكم شرعي ينشر في جريدتهم التي هي عنوان الجهل. ونسكت عما نعلمه باختبارنا ورواية الصادقين المختبرين أيضا

(٨) ان معظم العالم الاسلامي يمقت حكومة الحجاز الحاضرة واننا نرى الطعن فيها في صحف مصر وتونس والجزائر وجاوه والترك والهند وغيرها على أن اكثر أصحاب هذه الصحف والكاتبين فيها لا يعلمون كل ما نعلم من سوء حالها

(٩) ان الذين يسعون لاحياء منصب الخلافة في الاسلام يرمون به الى ثلاثة أغراض (أحدها) اقامة حكومة الشورى الاسلامية كما شرعها الله لتكون حجة على البشر أجمعين كما تقدم (ثانيها) اعادة مدنية الاسلام بالعلوم والفنون والصناعات التي عليها مدار القوة والعمران — تلك المدنية الجامعة بين نعم الدنيا المادية، وبين الفضائل الدينية الروحية، التي تحل عقد جميع المشكلات الاجتماعية، (ثالثها) الاصلاح الديني بازالة الخرافات والبدع واحياء السنن وجمع الكلمة وشد أواخي الاخوة الاسلامية وسائر الفضائل الانسانية، وليس في حكومة الحجاز استعداد لهذه المقاصد العالية، ولا يرجى ان يرضى البيت الحاكم بالوسائل العلمية والعملية التي يتوقف عليها هذا الاصلاح العظيم

(١٠) ان الحجاز فاقد لما تتوقف عليه إقامة الخلافة من الشوكة والثروة فهو لا قوام له بنفسه فكيف يقوم بأعباء هذا المنصب العظيم ولا يرضى أحد

من مسلمي العرب المجاورين له ان يتبعوا حكومته الاستبدادية الضعيفة فكيف يرضى بذلك غيرهم ؟

٢٤ — إقامة الخلافة في بلاد الترك وموانعها ومرجحاتها

لجعل الخلافة الصحيحة في بلاد الترك موانع ترجع الى أمرين كليين (احدهما) وهو أهمهما ما يخشى من امتناع أكثر الزعماء العسكريين والسياسيين منه لما فيه من توحيد السلطة العامة في شخص الخليفة وما تتوقف عليه الخلافة من إحياء اللغة العربية في بلاد الترك — وفروع ذلك وأسبابه معروفة — (وثانيهما) معارضة الامة العربية ولا سيما في الجزيرة وما يتبعها ، ولكن المعارضة لا تكون مؤثرة وثابتة الا اذا جعلت الخلافة صورية كما كانت ، أو روحية كما هي الآن . ولعلهم لولا ارادة جعلها مصلحة دعاية (بوربغندة) للدولة التركية لما اختاروا لها الآستانة مدينة الفخفخة الباطلة ، والعظمة الزائلة التي صارت طرفا في البلاد الاسلامية ومهددة بحرا وبرا . فاذا كانت لا تصلح ان تكون عاصمة للدولة التركية . فان تصلح للخلافة الاسلامية بالاولى

واما اذا قبل أولو الامر من الترك أن يحيوا منصب الخلافة الحق فالرجاء في تحقيق أغراضها ومقاصدها الثلاثة يكون أتم وأسرع وتقوم بها الحجة على العرب الا اذا اجتمعت كلمة أمراء الجزيرة على مبايعة واحد منهم وذلك غير منتظر لما تقدم بسطه فيكون الرجحان لمن يؤيده الترك بالاسباب الآتية

(١) ان الترك الآن في موقف وسط بين جمود التقاليد وطموح التفرنج — جمود عرب الجزيرة الذي جعل الدين مانعاً من العلوم والفنون التي ترقى بها حضارة الامة وثروتها ، وعزة الدولة وقوتها — وطموح التفرنج الذي يراد به انتزاع مقومات الامة الاسلامية الدينية والتاريخية ، ومشخصاتها ، واستبدال مقومات أمة أخرى ومشخصاتها بها . وحضارة الاسلام وحكومة الخلافة هي وسط بين الجمود وبين حضارة الافرنج المادية التي تفتك بها ميكروبات الفساد وأوبئة الهلاك ، فهي عرضة للزوال ، فكيف حال من يقلدها تقليداً تأباه طبيعة أمته وعقائدها

(٢) ان ما ظهر من عزم الحكومة التركية الجديدة وحزمها وشجاعتها

وعلو همتها وإقدامها يضمن بفضل الله تعالى نجاحها في إقامه هذا الاصلاح الاسلامي بل الانساني الاعظم باقامة حكومة الخلافة الجامعة بين القوة المادية والفضائل الانسانية المغنية للبشر عن خطر البلشفية والفوضوية لانها كافلة لكل ما تطلبه الاشتراكية المعتدلة من الانصاف والانتصاف من اثرة أرباب رؤوس الاموال . وهي بهذه الصفات أقدر على اتقاء كيد أعداء الاسلام الذين يقاومون الخلافة جهد طاقتهم

(٣) ان الدولة التركية الجديدة هي الدولة الاسلامية التي برعت في فنون الحرب الحديثة ويرجى اذا نجحت فيما تعنى به من الاخذ بوسائل الثروة والعمران ان تمكنها مواردها من الاستغناء عن جلب الاسلحة وغيرها من أدوات الحرب بصنعها في بلادها فتزداد قوة على حفظ حكومتها وبلادها ، وتكون قدوة لجيرانها واستاذا لهم

(٤) ان جعل مقام الخليفة في بلاد الترك أو كفالتهم له يقوي هداية الدين في هذا الشعب الاسلامي الكبير ويحول دون نجاح ملاحدة المتفرنجين وغلاة العصبية الجنسية، في إبانته من جسم الجامعة الاسلامية. فيظل سياجا للاسلام وعضوا رئيسيا في جامعته الفضلى

(٥) لئن كان جهل العرب والترك في الزمن الماضي بمعنى الخلافة ووظائفها — ولاسيما جمعها لكلمة المسلمين — سببا من أسباب تقاطعهما وتدابرهما التي انتهت بسقوط السلطنة العثمانية وباستيلاء الاجانب على قسم كبير من بلاد العرب والتمهيد للاستيلاء على الباقي فان ما نسعى اليه الآن سيكون ان شاء الله تعالى أقوى الاسباب لجمع الكلمة والتعاون على احياء علوم الاسلام ومدنيته مع استقلال كل فريق بادارة بلاده مستمدا السلطة من الخليفة الامام المجتهد في علوم الشرع الاسلامي المنتخب بالشورى من أهل الحل والعقد من العرب والترك وغيرهما من الشعوب الاسلامية بمقتضى النظام الذي يوضع لذلك

٢٥ — إقامة الخلافة في منطقة وسطى

إنني ضعيف الامل في كل من العرب والترك لا أرى أحدا منهما قد ارتقى الى هذه الدرجة بنفسه ، ولا أرى آية بينة على استعدادهما لما اقترحت من

تعاونهما عليه . ولست ممن يدع لليأس مسربا يسرب فيه الى قلبه ، لهذا أقترح على حزب الاصلاح أن يسعى لاقناع الترك ولا بجعل الخلافة في مركز الدولة فان لم يستجيبوا فليساعدوا على جعلها في منطقة وسطى من البلاد التي يكثر فيها العرب والترك والكرد كالموصل المتنازع عليها بين العراق والاناضول وسورية ويضم اليها مثلها من البلاد المتنازع فيها بين سورية والاناضول وتجعل شقة حياد ورابطة وصل معنوي ، في مظهر فصل جغرافي ، فتكون الموصل اسما وافق المسمى . الا فليجربوا ان كانوا مرتابين في عاقبة هذا الامر العظيم وليفوضوا الى حزب الاصلاح وضع النظام لاقامة الامامة العظمى في هذه المنطقة وتنفيذ أحكامها ومناهجها الاصلاحية الاسلامية فيها ، ثم لا يتبعها أحد من البلاد التي حولها الا بطوعه واختياره ، فاذا رضيت الدولة التركية بذلك على ان تكون كافلة له وذائدة عنه فالمرجو أن يرضى العرب والكرد به في هذه المنطقة وما يجاورها ، على ان يتفق الجميع من حولهم على احترامها فلا تعتدي ولا يعتدى عليها . والا وجب السعي لرد الامر الى معدنه ، واقراره في مقره ، بعد ازالة الموانع ، وتهيئة الوسائل . فان بدأ ناقصا ضعيفا ، فسيكمل ويكون قويا ، وقد « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » ولا تزال طائفة من هذه الامة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ـ كما ثبت في الاحاديث الصحيحة

٢٦ — نموذج من النظم الواجب وضعها للخلافة

أول ما يجب على الحزب الذي يولي وجهه شطر هذا الاصلاح العظيم أن يضع نظاما أساسيا لحكومة الخلافة على أتم الوجوه التي تقتضيها حال العصر في حراسة الدين وسياسة الدولة أو الدول الاسلامية واصلاح الامة ، وبرنامجا لتنفيذ هذا النظام بالتدرج السريع الذي يدخل في الطاقة وكتابا في الاصول الشرعية للقوانين الاسلامية ، تقوم به الحجة على كل من يزعم عدم صلاحية الشريعة للحضارة والعمران في هذا العصر

وبعد وضع النظام التام لاقامة الامامة على أساسها وقيامها بوظائفها وأعمالها ، يوضع نظام مؤقت لامامة الضرورة ، ويشرع في تنفيذ النظامين معا

مثل تفصيلي من هذا الاجمال: تنشأ مدرسة عالية لتخريج المرشحين للامامة العظمى وللاجتهاد في الشرع الذين ينتخب منهم رجال ديوان الخلافة الخاص وأهل القضاء والافتاء وواضعو القوانين العامة ونظم الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه، وازالة البدع والخرافات اللاصقة بأهله. ومما يدرس في هذه المدرسة أصول القوانين الدولية وعلم الملل والنحل، وخلاصة تاريخ الامم، وسنن الاجتماع، ونظم الهيئات الدينية كالفاتيكان والبطاركة والاساقفة وجمعيات دينية وأعمالها — فمن تخرج من هذه المدرسة في الزمن المعين أفراد مستجمعون لشرائط الخلافة، ومن أهمها العلم الاستقلالي الاجتهادي والعدالة، تزول ضرورة جعل الخليفة جاهلا أو فاسقا

فاذا انتخب أحد المتخرجين في هذه المدرسة انتخابا حرا من قبل أهل الاختيار — الذين يتحرى فيهم أن يكونوا من جميع الاقطار الاسلامية ولاسيما المستقلة منها بموجب النظام الخاص لهم — ثم بايعه من سائر أهل الحل والعقد من يحصل بهم الثقة التامة للامة كافة قامت الحجة على كل فرد وجماعة أو شعب بأنه هو الامام الحق النائب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في اقامة الدين وسياسة الدنيا، وأن طاعته فرض شرعي في كل ما هو غير معصية قطعية ثابتة بنص الكتاب أو السنة الصحيحة من المصالح العامة، ولا تجوز مخالفته في شيء من ذلك باجتهاد يعارض اجتهاده ولا تقليد مجتهد آخر، فان اجتهاده في المصالح العامة مرجح على اجتهاد غيره متى كان من أهل الاجتهاد كما هو الواجب. وانما يتبع كل امرئ اجتهاد نفسه أو فتوى قلبه وراحة وجدانه فيما يختلف فيه اجتهاد العلماء من الامور الشخصية الخاصة به كحكم هذا المال حلالا أو حراما. ويجوز لكل مسلم مراجعة الخليفة فيما يخالف فيه النص ولاهل الحل والعقد مراجعته في رأيه واجتهاده المخالف للمصلحة العامة. ومثل ما يرجح اجتهاده فيما ذكر كمثل حكم الحاكم فانه يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية، ولكن من علم أنه قضي له بغير حقه لا يحل له ديانة أن يأخذه لان علمه بالواقع أرجح من ظن القاضي الذي هو اجتهاده في الحكم أو في تطبيقه على قضية الدعوى كما ورد في الحديث الصحيح، على ان الحنفية يقولون بنفوذ حكم الحاكم في الظاهر والباطن فيحل عندهم ديانة أن تأكل ما حكم لك به القاضي الشرعي وان كنت تعلم أن المال ليس لك

بعد هذا أذكر الحزب بأهم البرامج والنظم التي يتوقف عليها العمل وهي

(١) برنامج المدرسة العليا التي يخرج فيها الخلفاء والمجتهدون
(٢) « انتخاب الخليفة
(٣) « ديوان الخلافة الاداري والمالي ومجالسه
(ا) مجلس الشورى العامة
(ب) « الافتاء والتصنيفات الدينية والشرعية والنظر في المؤلفات
(ج) « التقليد والتفويض لرؤساء الحكومات والقضاة والمفتين
(د) « المراقبة العامة على الحكومة
(هـ) « الدعوة الى الاسلام والدعاة
(و) « خطابة المساجد والوعظ والارشاد والحسبة
(ز) « الزكاة الشرعية ومصارفها
(ح) « إمارة الحج وخدمة الحرمين الشريفين
(ط) « قلم الرسائل

٢٧ — نهضة المسلمين وتوقفها على الاجتهاد في الشرع

لا أرى من المصلحة أن أنشر كل ما عندي من العلم والرأي التفصيلي في وسائل تجديد الامامة الاسلامية العظمى ومقاصده ومنافعه لانني أخشى أن يستفيد منه اعداء الاسلام ما يكونون أقدر به على قطع الطريق علينا من حيث لا ننتفع نحن به كما يجب. فان استعدادنا لهذا الاصلاح لا يزال ضعيفا جدا: رغم المسلمون للضيم، ورزئوا بالضعف، ورضوا بالخسف، ولم يبق لشعب منهم همة في خير ولا شر، حتى كان هذا التطور الجديد في بعض شعوبهم في هذا العصر، وقد كان جل سببه شدة ضغط الاجانب عليهم، لا رجوعهم الى هداية دينهم، ولا العلم بأنهم فقدوا بتركها، ما كانوا قد أصابوه بهديها، وانهم لو أقاموا شرعه، وامتثلوا أمر الله في قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) لما سبقهم أحد الى صنع المدافع والقذائف وسائر أنواع السلاح. ولا الى بناء الجواري المنشآت في البحر كالاعلام، والعلوم والفنون التي تتوقف عليها

هذه الاعمال ، ولما فاقهم أحد في فنون الحضارة ، وزينة الدنيا وطيبات المعيشة، وهم يقرؤن في محكم كتابهم المنزل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)

ولو جاءت هذه النهضة بهداية الاسلام — وهو أهل لما هو أرقى منها — لكانوا في المدنية أسرع سيرا ، وأبعد شوطا ، ولما احتاج احياء منصب الخلافة الى سعي ودأب ، ولا لتأليف حزب ، على أن الشعور الاسلامي من اقوى الوسائل المعنوية للنهضة ، وان كان بعض العاملين فيها ليس لهم حظ منه ؛ بل هم حرب له ، بيد أن أكثرهم يعلم أنهم لابد لهم من مراعاته ومداراة اهله لانهم سواد الامة الاعظم الى أن يربوا جيلا جديداً يغرسون في أنفس نشئه الشعور الجنسي المحض ؛ ويكون هو صاحب الرأي العام في الشعب

هذا ما نعلمه بالخبر ، من أمر النهضة في مصر والترك ، بل قيل لنا أن نهضة الافغان الجديدة تغلب عليها صبغة المدنية لا الصبغة الدينية ، وهم أشد الشعوب الاسلامية الناهضة تديناً ، وأضعفهم تفرنجاً ، وقد يصح أن يقال انهم ليسوا من التفرنج في شيء ، فاننا نعني به الافتتان بتقليد الافرنج في مظاهر حياتهم وعاداتهم وشكل حكوماتهم ، لا العلوم والفنون والصناعات والنظم التي راجت سوقها في هذا العصر عندهم ، بعد أن كنا نحن أحق بها وأهلها ، في قرون طويلة كانوا فيها محرومين منها . وخير ما بلغنا عن الافغان في نهضتهم هذه انهم يعنون باقتباس الفنون الزراعية والصناعية من أوربة دون الفنون الادبية والعلوم القانونية ، فان لهم في آداب الاسلام وشريعته غنى عن ذلك ، ولا سيما اذا سلكوا فيها مسلك العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد ، فالترقي الاسلامي يتوقف عليه في تجديده مثلما توقف عليه في مبدئه. كما أبدأنا وأعدنا مرارا ولا بد من التكرار الكثير في مثل هذا. ولو كان الافغان متصلين بجزيرة العرب وجعلوا العربية لغتهم الرسمية لكانوا أجدر الشعوب الاسلامية بالسبق الى احياء منصب الخلافة، على ان الرجاء في تجديدهم مدنية الاسلام في الشرق عظيم ، ولا غرو فموقظ الشرق وقائده في هذا العصر قد خرج من بلادهم

لا يمكن للمسلمين أن يجمعوا بين هداية الاسلام وحضارته من حيث هو

دين سيادة وسلطان الا بالاجتهاد في شرعه الواسع المرن ، فترك الاجتهاد هو الذي رد بعضهم الى البداوة التي قضى عليها أو الى ما يقرب منها ، وطوح ببعضهم الى التفرنج والالحاد والسعي الى التفصي من الدين

مثال ذلك أن الترك نصبوا خليفة متقناً لصناعتي التصوير والموسيقى وللعزف بالآلات الوترية ، وكل من هذين العملين محرم ومسقط للعدالة في المذاهب الاربعة ، ومن أشدها فيه مذهب الحنفية الذي ينتمي اليه الشعب التركي ، وقد ردت المحكمة الشرعية بمصر شهادة استاذ موسيقي (موسيقار) من عهد قريب . ولكن لكل من المسألتين تخريجا في الاجتهاد كما سنشير اليه في هذا البحث. وقد سئل الغازي مصطفى كمال باشا في أثناء سياحته الاخيرة في الاناضول عن صنع التماثيل ونصبها في البلاد أليس محرماً شرعاً ؟ ـ وقد روي أنهم سينصبون له تمثالا في أنقرة — فأفتى بأنه غير محرم اليوم كما كان محرماً في أول الاسلام وقرب العهد بالوثنية وجزم بأنه لا بد للامة التركية من الاشتغال بنحت التماثيل لانه من فنون حضارة العصر الضرورية واستشهد أو استدل على حله بما رأى في مصر من التماثيل

وقد أفتى لنفسه وللحكومة في مسألة اختلاط النساء بالرجال، ومشاركتهن لهم في الاعمال، بل سنّ فيها سنة جديدة اذ عقد له في أزمير على فتاة متفرنجة حضرت مجلس العقد بنفسها ووقفت تجاهه فيه وسألها القاضي عن رضاها به بعلا فأجابت ، وسجل زواجهما وطفقت بعد تسافر معه بزي الفرسان ، وتقابل معه من يلقى من الرجال ، وقد صرح في مسألة النساء وما سيكن عليه في الامة التركية الجديدة بما لا يرضاه كله رجال الدين والمتدينون ، ولا يزال يسئل عن المشكلات المتعلقة بشؤون الامة الدينية فيفتي برأيه فيخطىء ويصيب. ولا بد في أمثال هذه المسائل من الموقف الوسط بين التقحم الجديد والجمود التليد ، وانما يكون بالاجتهاد دون التقليد .

مصطفى كمال باشا ذكي فصيح ، ولكنه غير أصولي ولا فقيه ، وهو يفتي في أمثال هذه المسائل الدينية ، بما أوتي من الجرأة العسكرية ، والادلال بزعامته السياسية . فيقبل منه العوام ، ولا يتجرأ عليه الفقهاء . ولكن سير حكومته على هذه السبيل — وهي شعبية اسلامية ، لا يمكن

أن تدوم بتأثير سلطة شخصية، فلابد لها من احدى ثلاث: اما اتباع فقهائهم الحنفية بالجري على الراجح في كتب الفتوى — وهذا مالا يرضاه أحد من طلاب المدنية العصرية الغلاة ولا المعتدلين — واما أن يرفضوا كون الحكومة اسلامية بحجة الفصل بين الدين والسلطنة وهذا ما يتمناه ملاحدة المتفرنجين ولكن لا سبيل اليه فان سواد الامة الاعظم مسلمون وهم أصحاب السلطة وسيكون لهم الرأي الغالب في الجمعية الوطنية. فلم يبق الا الثالثة وهي سبيل العلم الاستقلالي الاجتهادي الذي نوهنا به فهو الذي يثبت لهذه الحكومة وللعالم كله ان الشريعة الاسلامية اوسع الشرائع واكملها، وان من أصولها حظر كل ما ثبت ضرره، وإباحة ما ثبت نفعه، وإيجاب ما لا بد منه، وان المحرم فيها بالنص يباح للضرورة، والمحرم لسدّ ذريعة الفساد يباح للمصلحة الراجحة

٢٨ — أمثلة لحاجة الترك الى الاجتهاد في الشرع

وههنا تأتي مسألة التصوير فهو قد حرم لعلة معروفة وهي سد ذريعة الوثنية، ومضاهاة خلق الله، فاذا احتيج اليه لمصلحة راجحة في العلم كتصوير الابدان المساعد على إتقان علوم الطب والجراحة — أو تحقيق المسميات اللغوية من الطير والحيوان لمجرد ضبط اللغة ولما يترتب عليها من المسائل الشرعية كمعرفة ما يؤكل وما لا يؤكل عند من يحرمون اكل السباع المفترسة منها أو المسائل العلمية الكثيرة — لمصالح عسكرية أو إدارية كتصوير الجواسيس والجناة — فكل ذلك يباح شرعا حيث لا شبهة عبادة، ولا قصد الى مضاهاة خلق الله، وقد بينا ذلك بالتفصيل في فتاوى المنار[1]، وهو مما لمحه مصطفى كمال باشا الحكم، فأفتى بالجواز المطلق طردا وعكسا، وهو مالا يتم مطلقا، واستدلاله على جواز نصب التماثيل لكبراء الرجال بعمل الحكومة المصرية يشبه استدلاله على صحة سلب السلطة من الخليفة الآن بسلبها من الخلفاء العباسيين — ليس من الدين في شيء، فان الحكومة المصرية غير مقيدة بالشرع في جميع أعمالها، ولم يكن نصبها لشيء من هذه التماثيل بفتوى من علماء الازهر ولا غيرهم، ولو استفتتهم لما أفتوا، لا لان نصب التماثيل محرم في الاسلام فقط، بل لان

(١) راجع ص ٢٢٠ — ٢٣٥ و ٢٧٠ — ٢٧٦ م ٢٠

فيه إضاعة كثير من مال الامة في غير مصلحة أيضا، وهم لا يقبلون شبهة من يدعون أن نصب التماثيل للرجال العظام ينفخ في روح الامة الرغبة في التشبه بهم ، والقيام بمثل أعمالهم ، لانهم يجزمون بأنه لم يخطر في بال مصري قط أن يكون كمحمد علي باشا أو ابراهيم باشا أو سليمان باشا الفرنسي ذوي التماثيل المنصوبة بمصر والاسكندرية ، وبأن التماثيل قد تنصب لمن يكون قدوة سيئة أيضا ، وبأنها من تقليد الافرنج في أمر من أمور زينة مدنيتهم التي تقتضي نفقات عظيمة لا تقدم عليها الا الامم الغنية ذات الثروة الواسعة ، فلو كان مباحا مطلقا في شرعنا لكان الاولى بنا تركه لامرين يرجحان به (أحدهما) الاقتصاد في المال ونحن لا نزال شعوبا فقيرة (وثانيهما) تحامي التقليد لهم فيما هو من مشخصات حضارتهم التي فتنا بها فكانت من أسباب استكبارنا لهم واحتقارنا لانفسنا ، وقد نهانا نبينا (ص) عن التشبه بغيرنا لنكون مستقلين دونهم بل قدوة لهم. وهذه مسألة اجتماعية مهمة فصلنا القول في مضارها مرارا

وقول مصطفى كمال باشا : ان الامة لا بد لها من اتقان صناعة نحت التماثيل . يجاب عنه بأن الامة تاركة لصناعات كثيرة واجبة شرعا وهي كل ما تتوقف عليه المعيشة والقيام بالواجبات الذاتية كالملابس والاسلحة والطيارات والبوارج الحربية وغير ذلك . فلا يصح لتارك الضروريات والحاجيات القانع بأن يكون فيهما عالة على الاجانب أن يهتم بأمر الزينة المحضة ولو لم تكن ضارة في دين ولا دنيا !

وأما مسألة الموسيقى فليس لمحرميها من النصوص الصحيحة مثل أحاديث تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، بل هي مسألة خلافية . وقد فصلنا في المنار القول في أدلة الذين حظروا سماع الغناء والمعازف (آلات الطرب) من جهة الرواية ومن جهة الدراية والاستنباط وحققنا ان الاصل في المسألة الاباحة وان المحرم منه ما كان ذريعة الى معصية أخرى كمن يغريه السماع بشرب الخمر أو غيره من الفسق وان الاسراف فيه مكروه[1]

وأما مسألة النساء فأحكام الاسلام أعلى الاحكام وأعدلها وأفضلها فيها وأكثر ما يستنكره العقلاء الفضلاء من مسلمات المدن المحجبات فهو من العادات ،

(١) يراجع ص ٣٥ — ٥١ و ١٤١ — ١٤٧ من المجلد التاسع

فاذا كان طلاب تغيير هذه العادات يحكمون الدليل في ترك ما هو ضار منها والاخذ بما هو نافع من غيرها فسيرون الشرع الاسلامي أقوى نصير لهم فيه، وليس الفصل بين الضار والنافع في هذا وأمثاله بالامر السهل، بل هو يحتاج الى تدقيق وبحث لاختلاف الآراء فيه باختلاف الاهواء والتربية كما يعلم من المثل الآتي: —

تصدى أحد أساتذة المدارس الاميرية في هذه البلاد لامرأة متزوجة يتصباها وكان من تصبيه لها أن قال لها وهي مارة في الطريق ما معناه: ان جمالها قد حرم عليه نوم الليل، فقاضاه زوجها الى المحكمة الاهلية طالباً عقابه على تصبي زوجته ومحاولة إفسادها عليه — فحكم قاضي المحكمة الابتدائية ببراءة الاستاذ معللا عمله بأنه من حب الجمال الذي هو من الغرائز المحمودة والاذواق الصحيحة. فكيف يعد ذنباً يعاقب عليه القانون؟ ولكن قاضي الاستئناف عدّ عمله ذنباً وحكم عليه بعقوبة

ان تربية مسلمي مصر والترك — وأمثالهما — مذبذبة مضطربة في هذا العصر والتفاوت فيها كبير فمنهم غلاة التفرنج الذين يستحلون الفواحش ويميلون الى الاباحة وهم الاقلون، ومنهم الجامدون على جميع التقاليد العتيقة خيرها وشرها. ولا سيما اذا كانت منسوبة الى الدين — وإن خطأ — وبين هؤلاء وأولئك أهل القصد والاعتدال من علماء الدين وعلماء الدنيا — فيجب أن يحال كل ما يراد من التغيير في عادات الامة على لجان من هؤلاء المعتدلين يبحثون في منافعه ومضاره من كل وجه ويضعون النظام لما يقررون تغييره مراعين فيه سنن الاجتماع باتقاء ضرر الاستعجال والطفرة، وما يحدثان من الفوضى في الامة والتفاوت العظيم بين أفرادها وجماعاتها، فان الجيل الحاضر وليد الجيل الماضي ووارثه في غرائزه وافعاله وانفعالاته وعاداته، بل ينزع به العرق الى الاجيال التي قبله، فاذا حمل على ترك شيء مما كان عليه من الافعال والعادات فانما يسهل عليه من ذلك ما يوافق الهوى واللذة دون ما يوافق العقل والمصلحة، ثم إنه لا بد أن يلقى معارضة من فريق كبير من الامة بمقتضى سنن الغريزة، فان كلا من حب التجديد وحب المحافظة على القديم غريزي في البشر فيظهر هذا في أناس وذاك في آخرين، بتقدير العليم الحكيم، والا لكانوا على غرار واحد لا يتغير كالنمل والنحل، أو

لكانوا كل يوم في جديد لا يثبتون عليه ولا يكون لجيل منهم شبه بجيل آخر

فمن يظن أنه يمكنه أن يميت أمة من الامم بابطال مقوماتها من العقائد والغرائز والاخلاق ومشخصاتها من الآداب والعادات ثم يبعثها خلقاً جديدا في جيل واحد بتغيير في قوانينها وشكل حكومتها ، واقناعها بذلك بالخطب والشعر والجرائد فهو مغرور والحمل عليه بالقوة القاهرة لا يأتي الا بحكومة شخصية قاهرة

نعم ان التغيير ممكن وواقع ، وطريقه معروف ، وهو ما أرشدنا الله تعالى اليه بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وتغيير ما بالانفس انما يكون منظما بتعميم التربية والتعليم ، وقد حقق علماء الاجتماع ان التأثير في تغيير حال الشعب لا يتم الا في ثلاثة أجيال . جيل التقليد والمحاكاة — وجيل الخضرمة — وجيل الاستقلال ، وبتمامه يتم تكوين الملكة . ومثل هذا في الشعوب كمثل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي للافراد . وقد يشذ بعض الشعوب في بعض الملكات كما يشذ بعض الافراد بذكاء نادر فيبلغ من احكامها في بدايته ما يعجز عن مثله البليد في نهايته . وقد حقق الفيلسوف الاجتماعي (غوستاف لوبون) المشهور في كتابه (تطور الامم) ان ملكة الفنون لم تستحكم لامة من أمم الارض في أقل من الثلاثة الاجيال المقررة الا للعرب فهم وحدهم الذين تربت هذه الملكة فيهم فصار لهم مذهب خاص فيها منذ الجيل الاول من مدنيتهم الاسلامية ، فاذاً لا بد من جعل كل تغيير يراد في الامة الى لجان من أهل الاختصاص فيه تدرسه وتمحصه وتقرر فيه ما فيه مصلحتها وموافقة شريعتها

وليس بيان هذا من مقصدنا هنا ولكنه استطراد غرضنا منه رد مسألة النساء وأمثالها الى أصل علمي معقول ، فان الفوضى فيها ضاربة أطنابها في بلادنا كالبلاد التركية فما يراه بعض الناس ضاراً قطعاً يراه آخرون هو النافع الذي لا بد منه ، ومقلدة الافرنج فيه كالجامدين على القديم ليسوا على هدى ولا بصيرة ، فان أعقل حكماء الافرنج وأكبر علمائهم غير راضين عن حال النساء عندهم ، وقد حكي لنا عن عاهل ألمانية عند ما زار الاستانة في أيام الحرب أنه لما اطلع على تهتك النساء التركيات وبروزهن للرجال متبرجات كنساء الافرنج عذل طلعت باشا الصدر الاعظم الاتحادي على ذلك قائلا انه كان لكم من دينكم وازع

للنساء عما نشكو نحن من غوائله الادبية والاقتصادية ونعجز عن تلافيه فكيف تتفصون منه باختياركم ؟ انكم إذاً لمخطئون

ومما يحسن التذكير به من المسائل التي يتمسك جماهير متفقهة المسلمين فيها بما ينافي ضروريات الحضارة الحاضرة والمصالح العامة زعمهم ان السائل المسمى بالكحول والسبيرتو نجس يحرم استعماله في كل ما يستعمله فيه الاطباء والصيادلة وسائر الصناع الذين يعدونه ضرورياً في صناعتهم ، وقد أفتى جماعة من فقهاء الهند بذلك منذ أشهر ورددنا عليه رداً طويلاً أثبتنا فيه ان هذا السائل طاهر ومطهر طبي، وأنه من الضروريات التي يجب الانتفاع بها في كثير من الاعمال، وانه مما عمت البلوى به ، ولكن الاصل في فتاوى أفراد العلماء أن يعمل بها من يقتنع بصحة أدلتها اذا كانت الفتوى مؤيدة بالدليل على طريقة السلف التي نجري عليها في المنار، ومن يثق بعلم صاحبها أو يكونه على المذهب الذي ينتمي اليه في المقلدين — فهي لاتحل المشكلات العامة بل تبقي الامة مضطربة باختلاف الفتاوى وأقوال العلماء، وانما يحل المشكلات العامة ويجمع كلمة الامة فيها الامام الاعظم (الخليفة) اذا كان مجتهداً كما تقدم

٢٩ — توقف الاجتهاد في الشرع على اللغة العربية

قد ثبت بما تقدم ان الجمع بين حضارة العصر وفنونه وبين المحافظة على الاسلام لا يتم الا بالاجتهاد في الشرع فكذلك لا يكون الخليفة هو الامام الحق الذي تجب طاعته ويمكنه نشر دعوة الدين والمحافظة عليه ومقاومة البدع وازالة الخلاف بين الامة في المسائل الاجتماعية والمدنية العامة الا اذا كان مجتهدا — والاجتهاد يتوقف على إتقان اللغة العربية وفهم أساليبها وخواص تراكيبها والملكة الراسخة في فنونها ، للتمكن من فهم نصوص الكتاب والسنة وما في الذروة العليا من هذه اللغة، وقد عد علماء الاصول من جميع المذاهب معرفة اللغة العربية شرطا مستقلا للاجتهاد مع اشتراط العلم بالكتاب والسنة، بل صرح بعض أئمة العلماء بأن معرفة هذه اللغة فرض على كل مسلم وان مقلداً — ولولا أن جميع سلف الامة كان على هذا الاعتقاد لما انتشرت العربية في خير القرون في كل قطر انتشر فيه الاسلام من غير مدارس منظمة تديرها الحكومات والجمعيات،

وهل لذلك من سبب غير الاعتقاد بالوجوب الديني ، ومن الآيات على ذلك إجماع العلماء في كل زمان ومكان على أداء جميع العبادات اللسانية بهذه اللغة كتلاوة القرآن في الصلاة وغيرها وأذكار الصلاة والحج وغيرها حتى انهم لا يزالون يؤدون بها الوعظ من خطبة الجمعة لا الحمدلة والشهادتين والتلاوة والدعاء فقط ، ولكن منهم من يترجمها بعد الصلاة ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أننا متعبدون بتدبر القرآن والاعتبار والاتعاظ بآياته وبفهم تلاوة الصلاة وأذكارها ، وكل ذلك يتوقف على معرفة اللغة العربية ، وتقصير بعض المسلمين في هذا الواجب كتقصيرهم في الواجبات الكثيرة التي أضاعت عليهم دينهم ودنياهم

ليس من غرضنا هنا أن ندعو أعاجم المسلمين الى تعلم اللغة العربية وانما أن نذكر حزب الاصلاح بما لا يجهله اكثر رجاله من العلاقة القوية بين منصب الخلافة وبين اللغة العربية فانه سيجد في اللغة معارضة شديدة ، ولكن حجته قوية وهي تعذر حياة الاسلام نفسه والاجتهاد في أحكامه بدونها - وتعذر تعارف المسلمين وجمع كلمتهم بالقدر المستطاع بدونها ، ففي كل قطر يسكنه المسلمون وكل مدينة منه لا يزال الاسلام فيها حيا يوجد من اهل العلم بالعربية من يمكن التعارف معهم ونشر ما يتقرر لخدمة الدين بسعيهم

ان اللغة رابطة من روابط الجنس وقد حرم الاسلام التعصب للجنس لانه مفرق للامة ذاهب بالاعتصام والوحدة واضع للعداوة موضع الالفة وقد نهى النبي (ص) عن العصبية العمية الجاهلية وتبرأ ممن يدعو اليها أو يقاتل عليها ، وقد كان من اصلاح الاسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الاجناس التي تهتدي به ، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به . فلولاه لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات ، وكما كان يعروها التغيير من قبله ، ولولاها لتباعدت الافهام في فهمه ، ولصار أديانا يكفر أهلها بعضهم بعضا ولا يجدون أصلا جامعا يتحاكمون اليه اذا رجعوا الى الحق وتركوا الهوى — فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان بل هي لغة المسلمين كافة ، ولغة شعوب أخرى من غير العرب ، وطوائف من العرب غير المسلمين ، وما خدم الاسلام أحد من غير العرب الا بقدر حظهم من لغته ، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيبويه الفارسي النسب واستاذه الخليل العربي في فضلهما

واجتهادهما في خدمة اللغة، ولا بين البخاري الفارسي واستاذه أحمد بن حنبل العربي في خدمة السنة، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الامة ولا خلفها قبل هذا العصر أن يأبى تفضيل كثير من الاعاجم في النسب على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب فيما امتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته، ولا نعرف أحدا من علماء الاعاجم له حظ من خدمة الاسلام وهو يجهل لغته، ولولا ان ظل علماء الدين في جميع الشعوب الاسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي واذكار الصلاة وغيرها بالعربية ومدارسة التفسير والحديث بالعربية لضاع الاسلام منها

ولو ان الدولة العثمانية احيت اللغة العربية فيما فتحته من أوربة لانتشر فيها الاسلام ثم فيما جاورها انتشارا عاما ولقامت فيها مدنية اسلامية كمدنية العرب في الاندلس وكان رسوخها فيها عظيما، ولكنها لم تفعل ذلك ولم تجعل لغتها التركية لغة علم وفنون بل اعتمدت في حكمها على قوة السيف وحده فكان من غوائل ذلك — وهي كثيرة — ان جميع الشعوب التي خضعت لسيادتها وسلطانها ظلت محافظة على لغاتها حتى المسلمين منهم. فلما تجددت في هذا العصر عصبية اللغة وجعل الترك العثمانيون لغتهم لغة علم أرادوا أن يكرهوا الشعوب الاسلامية في سلطنتهم على ترك لغاتهم الى لغة الدولة فامتنع الجميع عليهم، وهب أصحاب اللغات غير العلمية المدونة كالالبانيين والكرد والجركس الى تدوين لغاتهم وجعلها لغة علم وفنون كما فعل الترك، وقد حاربت الدولة الالبانيين وهم أعظم حصونها في أوربة لاجل اللغة فاختاروا حربها والخروج من سلطنتها على ترك لغتهم، ولو رضيت لنفسها لغة الاسلام ودعتهم اليها لما أبوا، وهذه المسألة هي التي فرقت بين الترك والعرب ذلك التفريق الذي أشرنا الى رزاياه في هذا البحث مرارا، وسمعنا لتلافيه قبل تفاقم خطبه فما أفادنا السعي فلاحا، وكيف يعقل ان يرضى العرب استبدال التركية بالعربية التي شرفها الله على جميع اللغات بكتابه المعجز للبشر وحجته عليهم الى يوم القيامة على ما لها من المزايا الاخرى — ونحن نرى التتار أخوة الترك في العرق الطوراني لا يرضون بترك لغتهم واستبدال التركية بها وهي أرقى منها؟

فنحن الآن نجاه أمر واقع، ماله من دافع، وكل ما نطمع فيه أن نتقي ضرره، ونوفق بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية اللغوية بما فصلناه من تعاون العرب والترك على إقامة الخلافة الاسلامية الحق، فاذا وفق الله لاتمام هذا فهو الذي تتم به الوحدة وما يترتب عليها من سعادة الدنيا والآخرة

وصف ثورة الهند السياسية السلبية

وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*

(٢)

﴿ نبذ القوانين الجائرة ﴾

قد غاظت هذه الهزيمة الحكومة ، فعزمت على قتل الحركة بالقوة والشدة ، ناسية أو جاهلة أنها لا تقتلها بها ، بل انما تقويها وتشد أزرها

ان جمعية الخلافة وفروعها كانت نظم المتطوعين الذين كانوا على محافظتهم على نظام المجالس والمجامع العامة يقومون بخدمات كثيرة للامة فكانهم كانوا جيشا غير متسلح لها ، فأعلنت الحكومة أن جماعتهم هذه غير قانونية فيجب الغاؤها ، ثم منعت انعقاد المجالس فحرمت الامة من حرية الاجتماع وحرية اللسان ، وهي من احقوق الفطرية الطبيعية لكل انسان ، غير أن الحكومة لم تبال بسوء عملها بل حذت حذو من تقدمها من الحكومات المستبدة المنقرضة ، لان التاريخ يعيد نفسه

وقد بدأت الحكومة بتنفيذ هذه القوانين الجائرة (بكلكتا) قبل غيرها من المدن ، لان قدوم البرنس اليها كان قريبا ، ولانها من أعظم المدن الشرقية ، وتكاد أن تكون أوربية لكثرة الاوربيين فيها ، فكانت مقاطعة البرنس فيها ثقيلة جداً على الحكومة ، فبادرت باعلان هذه القوانين فيها ، ولكن نشر صاحب هذا الخطاب في الوقت نفسه اعلانا ضد الحكومة ، قال فيه : انه يجب على الامة نبذ هذه القوانين نبذا ، ولا اقدام من أجلها على السجون أفواجا ، وقرر الامور الآتية .

---

*) تابع لما في الجزء الاول

(١) ان الخضوع لمثل هذه الاحكام الجائرة، معناه النزول عن الحقوق المدنية والانسانية، وليس لحكومة أن تمنع المجامع السلمية، والاعمال الوطنية الجائزة، فاننا ان نخضع لها خوفا من الحبس والمهانة، نكون مجرمين أمام ضمائرنا وأمام الانسانية، فليس على محبي الحرية والحق الا أن يعصوها، ويوطنوا أنفسهم على جميع المصائب التي تصبها الحكومة على رؤوسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين.

(٢) يجب أن يوسع نطاق التطوع، وأن ينبث المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين للمقاطعة الملكية التي تريد الحكومة أن تجانبها، واذا منعتهم السلطة لا يطيعونها، بل يسلمون نفسهم للاعتقال بدون أدنى كره ولا مقاومة.

(٣) تعقد المجالس والمحافل في جميع المجتمعات العامة، وكل من يذهب اليها يسلم نفسه للسلطة اذا أرادت القبض عليه —

(٤) كل من يقبض عليه، يقاطع المحاكم مقاطعة تامة في القول والعمل، لان الحكومة التي تنوب عنها المحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة، فلا معنى للاعتراف بمحاكمها والسعي للدفاع فيها، فانها لا تستطيع أن تخالفها وتنصف في حكمها.

(٥) تتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجن، فلنهرول الى السجون زرافات زرافات، حتى تتعب الحكومة من حبسنا ولا تتعب نحن من الاقدام عليه.

وقد لبت الامة الدعوة، فابتدأت الاعمال الجدية بكل قوة، وسارع الناس أفواجا الى ادارات التطوع، وبدأت الاجتماعات العامة، وأخذ الخطباء يخطبون ويقبحون الحكومة وظلمها وعسفها، فدهشت الحكومة وظلت في حيرتها أياما لا تدري ما تعمل. لانها كانت قد وقعت في نفس ذلك الشراك الذي بسطته يدها. فلا هي تقدر على أسر جميع النابذين لاوامرها لان الناس كلهم نبذوها. ولا هي تستطيع غض النظر عنهم. لان هذا يظهر عجزها في تنفيذ قوانينها. غير أنها عزمت أخيرا على الاعتقال والتسجين. ظانة أن الناس سيخافون

من صولتها . ويعودون الى طاعتها . فأخذت تعتقل في (كلكتا) وحدها ألفا من المتطوعين كل يوم . وقد كان المنظر مؤثراً للغاية . فان عصابات المتطوعين كانت تترى ، فكلما اعتقلت واحدة حلت محلها أخرى ،وهكذا الى الليل .

ثم أعلنت هذه القوانين القاسية في طول البلاد وعرضها، فأخذت الامة في كل مكان تحذو (كلكتا) في مقاومتها. فأخذ الوطنيون يظهرون في كل محل ويعصون القوانين،وأخذت السلطة تقبض عليهم وتسجنهم، فأصبح السجن ألعوبة والرجال أطفالا يلعبون بها .وان القلم ليعجز عن وصف تلك الحمية والغيرة والحماسة التي كانت تشاهد في كل زقاق وشارع وبلد من القطر الهندي العظيم فكان الناس يتنافسون في التصدي للاعتقال والسجن والذين كانوا لا يعتقلون لسبب ما كانوا يتحسرون على أنفسهم حتى الصبيان كانوا يبكون شوقا اليه ويلحون على الشرطة أن تعتقلهم فكم من مئات منهم دخلوا السجون بالحاح شديد وودعتهم أمهاتهم بدموع الفرح ولم يكن المتطوعون وحدهم يقدمون أنفسهم للاعتقال بل كان الالوف من المارة والسوقة اذا رأوهم على هذه الحالة يتحمسون فيتزاحمون ويقولون للشرطة : نحن أيضا منهم فاقبضوا علينا فكان يقبض عليهم ويرسلون الى السجون —

ولم يمض على هذه الحالة اسبوع الا بدت علائم الملل والفتور والهزيمة على وجه الحكومة لان السجون على كثرتها وسعتها كانت قد امتلات وكذلك جميع تلك الابنية التي استخدمت لهذا الغرض واختل النظام والضبط في السجون وعجزت الحكومة عن تهيئة الطعام والشراب للمسجونين الوطنيين، فاضطرت الى أن تخلي سبيل ألوف منهم . فباب السجن كان يفتح وينادي المنادي فيهم « من كان منكم يريد الذهاب فليذهب » ولكنهم كانوا يأبون الذهاب،فيحملون على الاكتاف ويلقون وراء الباب،فيذهبون الى الاسواق فيعصون الاوامر فيؤسرون فيرجعون الى السجن حيث كانوا قبل ساعات. فلما رأت الحكومة ذلك امتنعت من ارسالهم الى السجون فكانت تعتقلهم نهارا وتطلقهم ليلا من مراكز الشرطة غير أنهم بمجرد خروجهم يعودون الى عملهم القديم

ضجرت الحكومة من هذه الحالة ضجرا شديدا ، وأيقنت أن النار لا تخمد مادام الزعماء على حريتهم ، فمدت يدها اليهم ، وهم قد كانوا مستعدين لاجابة دعوتها من أول يوم ، معتقدين أنه لا بد لتقوية الحركة وتكميل العمل من سجنهم أنفسهم ، فألقي القبض على صاحب الخطاب في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ فذهب الى السجن بوجه ضاحك، وثغر باسم.

وقد كان حفظه الله أعلن قبل أسره بساعات في بلاغ الى الامة أنه سيقبض عليه، ففي تلك الساعة يبتلي عزمها وثباتها، وقد جاءت تلك الساعة ورأت الحكومة أن تلك الحركة أصبحت أقوى وأشد من قبل، حتى بلغ عدد المسجونين خمسين ألفا :

ولم يمض على أسره أسبوعان الا وقد وجدت الحكومة نفسها عاجزة ومنهزمة أمام هذه الحركة ، فاضطرت الى أن تجنح للسلم ، فأعلن الوالي العام في (كلكته) لوفد من حزب الاعتدال أن الحكومة ترغب في الصلح، وترحب بهدنة تعقد له، فهي تمسك يدها عن القبض والاسر وتطلق سراح جميع المسجونين ، ويمسك الزعماء عن أعمالهم ، بدون أن يعترف أحد من الفريقين بالغلبة والانكسار ، فيجتمعان في مؤتمر ، ويتشاوران في الامر ، ويكون لكل منهما حرية العمل اذا لم ينجح المؤتمر . وفي هذا الوقت نفسه أعلن أن الحكومة الهندية لا تألو جهدا في تقديم مطالب الهند في مسئلة الخلافة الى الحكومة المركزية . وهي مستعدة أيضا لكل عمل مستطاع في المستقبل - (وقد أرسلت الحكومة بعد هذا الاعلان بلاغها الشهير بامضاء الوالي العام وجميع ولاة المقاطعات الى انكلترا وهو الذي وقع الخلاف في نشره بين اللورد كرزن والمستر ما تنغو القائم بأعمال الوزارة الهندية إذ ذاك . فاضطر الثاني الى أن يستعفي من خدمته)

فلما دعيت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى الى هذه الدعوة، قبلتها وأعلنت الهدنة . وقدمت الشروط الاساسية للمؤتمر المقترح . وكان الشرط الاول منها أن تقبل حكومة لندرة المركزية كل ما يقرره المؤتمر غير أن الحكومة لم تقبل هذا الشرط فعاد الحال كما كان .

(صاحب الخطاب)

أما صاحب الخطاب العالم العلامة الشيخ أبو الكلام أحمد فمن المؤسسين للنهضة الجديدة الاسلامية في الهند — أقول من المؤسسين لانه لا يرضيه أن يقال هو المؤسس لها — فانه الى سنة ١٩١٢ لم تكن في مسلمي الهند أي حركة عامة نافذة قوية للاصلاح الديني ولا السياسي ، فكانوا في الدين على جمود وتقليد ومحدثات، وأما السياسة فلم يكن لهم فيها شأن فكانوا يجتنبونها ويخافون منها كأنها حية تنهشهم، معتقدين أن الاستقلال يضرّ بهم ويمكن الهندوس منهم، فبينما هم في هذه الظلمات إذ قام فيهم تلك السنة صاحب الخطاب فصاح بأعلى صوته « اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ! » فأما الدين فقد دعا فيه الى التوحيد الخالص والتمسك بالكتاب والسنة ونبذ التقليد والبدع والخرافات، وتطهير الاعمال والعقائد من المحدثات. قال : ان الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من أمته لا ما قاله فلان وفلان، وان القرآن مهيمن على الكتب السماوية والعلوم البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتفرنجين. ففتح باب الاجتهاد وفسر القرآن بأسلوب بديع ونزهه عن كل الترهات. واستنبط منه ومن سنة الرسول كل ما يحتاجه المسلمون في دينهم ودنياهم

وأما السياسة فقد دعا فيها الى الحرية التامة واستقلال البلاد والاتحاد مع أبناء الوطن ومقاومة الاجانب المسيطرين بغير حق . فقامت عليه القيامة من كل جهة وصوّب المعارضون اليه نبالهم و بسطت الحكومة له شركها ولكن لم توقفه العراقيل في طريقه، ولا صدته الموانع عن عمله، فمازال يلقي الخطب الرنانة ويحبر المقالات الحماسية و يقرع أسماعهم ببلاغته الشهيرة ويوقظ قلوبهم بمواعظه البالغة وينفخ في أجسادهم الميتة روح الدين والحرية حتى انتبهوا من رقدتهم وهبوا من نومتهم ، وهرعوا الى الداعي ملبين دعوته ومجيبين نداءه، وكل هذا في خلال بضع سنوات المدة التي لا تكاد أن تصدق، وكانت لسان دعوته مجلة « الهلال » الاسبوعية خالدة الذكر

ويمكن تلخيص بعض مهمات دعوة الهلال الاجتماعية والسياسية في المواد الآتية :

(١) أن العبودية سواء كانت للاجانب أو الغاصبين من الامة نفسها لا تجتمع مع الاسلام، وأن السعي للحرية والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب والاغتباط بالموت في سبيله — كل ذلك واجب على المسلمين ووراثة ملية ورثوها عن أجدادهم العظام فهم إما أن يعيشوا أحراراً أو يموتو كراما، وليس بين هذا وذاك من سبيل في الاسلام ، لان شريعته ما دامت لا تبيح استبداد الولاة من المسلمين أنفسهم فكيف تبيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الاجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذي يقنع ويرضى بهذه العيشة لا ريب في حرمانه من روح الحياة الاسلامية

(٢) على مسلمي الهند واجبان: اسلامي ووطني فالواجب الاسلامي يطالبهم أن لا يحصروا نظرهم في حدود أرضهم فان جنسية الاسلام مطلقة من قيود الوطن والنسل وشاملة لجميع المصطبغين بالصبغة الاسلامية حيثما وجدوا ومن أي أمة كانوا فيجب عليهم أن يعينوا اخوانهم المسلمين خارج الهند وينصروهم ويخففوا مصائبهم عنهم وأما الواجب الوطني فهو أن يتحدوا مع أبناء وطنهم ويرخصوا نفوسهم في جهاد الحرية والاستقلال لبلادهم

(٣) إن الدول الغربية لا تهدد الاسلام والمسلمين فقط بل الشرق بأسره فيجب على الامم الشرقية أن تتحد وتتفق لصون حريتها وحياتها من الغرب

(٤) ان الدولة العثمانية هي البقية الباقية من الدول الاسلامية فيجب على مسلمي العالم كلهم أن يساعدوها وينصروها ويرجحوا حقها وصيانتها على مقاصدهم الوطنية لانها المركز الملي والسياسي لهم ولا حياة للفروع بدون الاصل .

(٥) اللغة العربية هي اللغة الملية للمسلمين كافة والوسيلة الوحيدة للتعارف والاتحاد بينهم وإن من العلل الجوهرية للانحطاط الاجتماعي والديني انقراض الخلافة العربية وهجران اللغة العربية وشيوع العجمية والفلسفة اليونانية بينهم فيجب عليهم إحياء اللغة العربية الصحيحة وتعلمها حتى تصبح عامة بينهم

(وإني أريد أن أقول هاهنا كلمة في « المسألة العربية » فان كثيرا من

اخواننا العرب يعتقدون أن مسلمي الهند يرجحون الترك عليهم ويكرهون استقلالهم مع أن الامر ليس كذلك فهذا زعيم مسلمي الهند وقائدهم الاكبر ما زال يلح على الدولة أن تمنح للولايات العربية الحكم الاداري فقد صرح به في جميع مذكراته التي بعثها الى المرحوم طلعت بك وزير الداخلية ذ ذاك والتي تناولها أحمد رضا بك الشهير ثم الدكتور عدنان بك مندوب حكومة أنقرة في الاستانة الآن عند قدومهما الى الهند نعم إن مسلمي الهند ما كانوا يحبون أن يفترق الترك والعرب خوفا من انحلال الدولة الاسلامية وسقوط العرب في يد المستعمرين من الاجانب وقد وقع ما كانوا يخشونه فثار الشريف و . . . فالى الله المشتكى :)

ولما ابتدأت الحرب الكبرى أصبحت الهند في حالة تشبه حالة الاحكام العرفية وأخذت الحكومة تسجن وتعتقل كل من ارتابت فيه غير أن صاحبنا ظل على حريته وثباته يقول ما كان يقوله ويقبح الظلم والاستبداد كعادته لم يخفه عفريت الحرب ولم ترعبه السلطة العسكرية ثم لما بدأ الخلاف بين الدولة العلية والحلفاء وحجزت بريطانيا البارجتين العثمانية « رشادية وعثمان اول » وخشي نشوب الحرب بينهما قام في ذلك الوقت العصيب أيضا بكل جرأة وشجاعة يظهر أفكاره وآراءه في مقالاته وخطبه وقد نبه رجال الحكومة شفهيا أن الحرب مع الدولة العثمانية يؤلب المسلمين على بريطانيا ويقع مسلمو الهند في موقف حرج فلا يكون أمامهم الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع بريطانيا فيجب عليها أن تسلم بمطالب تركيا ولا تدعها تنضم الى المسانيا فاذا فعلت ذلك يبذل مسلمو الهند جهدهم في منع الدولة من أن تكون مع ألمسانيا فاما أن تبقى على الحياد واما أن تكون بجانب الحلفاء غير أن الحكومة لم تصغ الى نصحه ونشبت الحرب بين الدولة والاتحاديين فنشرت الحكومة البريطانية في أول اكتوبر سنة ١٩١٤ علانا في الهند قالت فيه ان الدولة البريطانية وحلفاءها قد اضطروا الى دفع الهجوم العثماني ولكن ليثق مسلمو الهند أننا لا نهاجم تركيا ولا نقوم بعمل عدائي ضد البلاد الاسلامية المقدسة

وقد نشر حفظه الله مقالة شهيرة بعنوان « القارعة » فصل فيها ما كان يراه

مسلمو الهند أحسن تفصيل ثم تحادث مع اللورد كارماركل والي بنغالة الاسبق في نفس هذا الموضوع وكانت خلاصة حديثه معه وما كتبه في مقالته كما يلي :

(١) ان من المصائب علينا ان تقع الحرب بين الدولتين البريطانية والعثمانية التي يعدها جميع مسلمي العالم صاحبة الخلافة الاسلامية وآخر دولهم وأن مسلمي الهند يجب عليهم شرعا أن يكونوا مع الخلافة ويطيعوا أوامرها ويبذلوا وسعهم لنصرها وحمايتها فيجب على الحكومة أن تعلم هذه الحقيقة ولا تنخدع بأقوال المنافقين الذين يخدعونها ويتملقون لها

(١) ان اكثر ما يستطيع مسلموا الهند أن يفعلوه لبريطانيا هو أن يبقوا على الحياد ولا يتخذوا خطة عدائية لها ولكن هذا انما يكون اذا :

(أ) تركتهم بريطانية على هذه الحالة فلم تطالبهم بمساعدة مادية ولا معنوية

(ب) لا يكره جندي مسلم على أن يذهب الى ميادين القتال

(ج) لا يهاجم الحلفاء البلاد الاسلامية بل يعلنون اعلانا مؤكدا بأن الحرب لا تغير الحدود الحالية للدولة الاسلامية ويضمنون استقلال الدولة العثمانية

(٣) وان لم تقبل الحكومة البريطانية هذا فمسلمو الهند يضطرون الى فرضهم الديني فيفعلون كل ما في وسعهم لحفظ الخلافة والبلاد الاسلامية لان هجوم الاجانب عليها يوجد حالة النفير العام فيجب على جميع مسلمي العالم شرقا وغربا أن يهبوا للدفاع عنها

فلما رأت الحكومة أن حضرته متصلب في أفكاره ومصر على أعماله وأنها لا تستطيع استمالته اليها بالترغيبات ولا تخويفه بالتهديدات كما فعلت بالآخرين أقفلت أولا جريدته ثم نفته من مقاطعة كلكتا مستقره ثم بعد ستة شهر سجنته في معتقله ولم تخل سبيله الا بعد الهدنة في يناير سنة ١٩٢٠

ولكنه بمجرد خروجه من معتقله انهمك في إنهاض هذه الحركة الجديدة للخلافة والدعوة اليها ولم يستريح يوما واحدا — وها نحن أولاء نراه بعد سنتين قد سلم نفسه الى السجن ثانية فهو الآن بين جدرانه المربعة ثاويا ، وفي حجرة ضيقة منه قائما ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

﴿ الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله ﴾

بالاعمال و بالذوات والاشخاص

من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (*

(الوجه الثاني)[1] الدعاء له والعمل له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتوسل بدعاء الرسول والصالحين من امته . وقد تقدم أن الدعاء اما أن يكون اقساما به أو تسبيبا به، فان قوله: «بحق الصالحين» إن كان إقساما عليه فلا يقسم على الله الا بصفاته. وان كان تسببا فهو تسبب لما جعله سبحانه سببا وهو دعاؤه وعبادته. فهذا كله يشبه بعضه بعضا وليس في شيء من ذلك دعاء له بمخلوق ولا عمل صالح منا. فاذا قال القائل أسألك بحق الانبياء والملائكة والصالحين فان كان يقسم بذلك فلا يجوز أن يقول وحق الملائكة وحق الانبياء وحق الصالحين ولا يقول لغيره أقسمت عليك بحق هؤلاء فاذا لم يجز أن يحلف به ولا يقسم، فكيف يقسم على الخالق به؟ وان كان لا يقسم به فليس في ذوات هؤلاء سبب يوجب حصول مقصوده لكن لا بد من سبب منه كالايمان بالانبياء والملائكة، أو منهم كدعائهم لنا — لكن كثير من الناس تعودوا ذلك كما تعودوا الحلف بهم حتى يقول أحدهم: وحقك على الله وحق هذه الشيبة على الله . وفي الحلية لابي نعيم أن داود عليه السلام قال: يارب بحق آبائي عليك ابراهيم واسحق و يعقوب، فأوحى الله اليه « يا داود أي حق لآبائك علي؟ » وهذا وان لم يكن من الادلة الشرعية فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه . واما الغائب والميت فلا يطلب منه شيء .

وتحقيق هذا الامر أن التوسل به والتوجه اليه و به لفظ فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح، فمعناه في لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكونون

تابع لما نشر في الجزء التاسع ص ٦٨١ م ٢٣

(١) أي من وجهي ترجيح المعنى الذي حمل عليه حديث دعاء الخارج الى الصلاة

متوسلين ومتوجهين بدعائه وشفاعته ودعاؤه وشفاعته من أعظم الوسائل عند الله. وأما في لغة كثير من الناس أن يسأل بذلك ويقسم عليه بذلك والله تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات بل لا يقسم بها بحال فلا يقال أقسمت عليك يارب بملائكتك ونحو ذلك بل انما يقسم بالله وأسمائه وصفاته. فيقال « أسألك بأن لك الحمد، لا إله الا أنت المنان، بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم، وأسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك» الحديث كما جاءت به السنة. واما أن يسأل الله ويقسم عليه بمخلوقاته فهذا لا أصل له في دين الاسلام. وقوله[1] اللهم اني اسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك وجدك الاعلى وكلماتك التامة — مع أن في جواز الدعاء به قولين للعلماء فجوزه أبو يوسف وغيره ومنع منه أبو حنيفة وأمثال ذلك[2] — فينبغي للخلق أن يدعوا بالادعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فان ذلك لا ريب في فضله وحسنه فانه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا، وهو أجمع وأنفع، وأسلم وأقرب الى الاجابة

وأما ما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت لكم الى الله حاجة فاسألوا الله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم » فهذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث والمشروع الصلاة عليه في كل دعاء. ولهذا لما ذكر العلماء الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الامر بالصلاة عليه، ولم يذكروا فيما يشرع للمسلمين في هذا الحال التوسل به كما لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستغاثة به في حال من الاحوال، وان كان بينها فرق فدعاء غير الله كفر بخلاف قول القائل اني أسألك بجاه فلان الصالح فان هذا لم ينقل عن أحد من السلف انه كان يدعو به

(١) في كتاب « الوسيلة » وكذلك قوله الخ عطفا على الدعاء الذي قبله وليس فيه العبارة المفحمة هنا بين الدعاء بن (٢) اي من الادعية

ورأيت في فتاوى الفقيه الشيخ أبي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز ذلك في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم[1] ثم رأيت عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء انهم قالوا: لا يجوز الاقسام على الله بأحد من الانبياء. ورأيت في كلام الامام أحمد انه في النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا قد يخرج على احدى الروايتين عنه في جواز الحلف به[2]

وأما الصلاة عليه فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وفي الصحيح عنه انه قال «من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرا»

وفي المسند أن رجلا قال: يارسول الله أجعل عليك ثلث صلواتي قال «يكفيك الله ثلث أمرك» فقال: «أجعل عليك نصف صلاتي» قال «اذاً يكفيك الله ثلثي أمرك» فقال أجعل صلاتي كلها عليك فقال «اذاً يكفيك الله ما أهمك من أمور دنياك وآخرتك» وقد ذكر العلماء وأئمة الدين الادعية المشروعة وأعرضوا عن الادعية المبتدعة فينبغي اتباع ذلك

والمراتب في هذا الباب ثلاثة (أحدها) الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الانبياء عليهم السلام وغيرهم فيقال ياسيدي فلان أغثني! وأنا مستجير بك ونحو ذلك، فهذا هو الشرك بالله. والمستغيث بالمخلوقات قد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها. وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به وانما هو شيطان أضله وأغواه لما أشرك بالله كما يتكلم الشيطان في الاصنام وفي المصروع وغير ذلك. ومثل هذا واقع كثيرا في زماننا وغيره وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة الاستغاثة (بي) أو بغيري وانما هو شيطان أضلهم وأغواهم وهذا هو أصل عبادة الاصنام واتخاذ الشركاء مع

«٣» في كتاب التوسل والوسيلة تقييد هذا بقوله: ان صح حديث الاعمى

«١» من قوله (ثم رايت عن ابي حنيفة) الى هنا ليس في سياق كتاب الوسيلة

الله تعالى في الصدر الاول من القرون الماضية كما ثبت ذلك فهذا شرك بالله نعوذ بالله من ذلك

(الثاني) أن يقال للميت أو الغائب من الانبياء والصالحين: أدع الله لي وادع لنا ربك ونحو ذلك فهذا مما لا يستريب عالم أنه غير جائز. وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الامة وأئمتها. وان كان السلام على أهل القبور جائزاً ومخاطبتهم جائزة كما كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون» وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل مسلم سلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » لكن ليس من المشروع أن يطلب من الاموات شيئاً. وفي الامام مالك[1] أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يقول : السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبه، ثم ينصرف . وكذلك أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، نقل عنهم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون وهم مستقبلو القبر الشريف . وان كان قد وقع في ذلك بعض الطوائف من الفقهاء والمتصوفة ومن العامة ممن لا اعتبار بهم فانه لم يذهب الى ذلك امام متبع في قوله ولا من له في الامة لسان صدق . بل قد تنازع العلماء في السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ويستدبر القبر . وقال مالك والشافعي بل يستقبل القبر وعند الدعاء يستقبل القبلة ويستدبر القبر، ويجعل القبر عن يساره أو يمينه وهو الصحيح إذ لا محذور في ذلك

(الثالث) أن يقول: أسألك بجاه فلان عندك أو بحرمته ونحو ذلك . فهو الذي تقدم عن أبي محمد انه أفتى بانه لا يجوز في غير النبي صلى الله عليه وسلم[2] . واقتي

(١) كذا بالاصل ولعلها وفي (موطأ الامام مالك الخ)

(٢) اي معللا له على صحة حديث الاعمى

أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما انه لايجوز في حق أحد من الانبياء فكيف بغيرهم. وان كان بعض المشايخ المبتدعين يحتج بما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور» اوقال «فاستغيثوا بأهل القبور» فهذا الحديث كذب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة

وقد قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) الآية وهذا مما يعلم بالاضطرار في دين الاسلام أنه غير مشروع. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما هو أقرب من ذلك من اتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك ولعن على ذلك من فعله تحذيراً من الفتنة باليهود فان ذلك هو أصل عبادة الاصنام أيضا فان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين في قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم اتخذوا الاصنام على صورهم كما ذكر ذلك ابن عباس وغيره من العلماء[1] فمن فهم معنى قوله (اياك نعبد واياك نستعين) عرف أنه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله وحده

وقد يستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستعانة لا تكون الا بالله والتوكل لا يكون الا على الله. وما النصر الا من عند الله. فالنصر المطلق وهو خلق ما يغلب به العدو فلا يقدر عليه الا سبحانه. وفي هذا القدر كفاية لمن هداه الله تعالى والله تعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى (*)

---

(١) الاثر في صحيح البخاري

(*) ملحوظة: نشرنا هذه الرسالة أو الفتوى عن مجموعة مخطوطة جاءتنا من بغداد وفي أثناء الطبع وجدنا فيها مواضع محرفة فراجعنا (كتاب التوسل والوسيلة) الذي سبق لنا نشره فوجدناها فيه بعبارة أوسع وأوضح سالمة من التحريف فتراجع فيه (ص ١٠٣)

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

(١)

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب أرسلان الشهير

يظهر أنه من جملة الممالك الاوربية التي انبسطت اليها يد الاستيلاء العربي وخفق فوق ربوعها علم الفتح الاسلامي في القرون الوسطى هي بلاد سويسرة هذه البقعة الجميلة النضيرة التي تراها جنة خضراء، صيفا وشتاء والتي هي من أوربة بمثابة الكبد من الجسد

كنت أعلم أن العرب بعد أن فتحوا اسبانية استولوا على جنوبي فرنسا وتمكنوا من أواسطها ونزلوا بر ايطالية واكتسحوا رومة(١) فضلا عن استيلائهم على صقلية وسردانية وغيرهما من الجزر ولكن الى سنة ١٩١٩ تاريخ ورودي سويسرة لم اكن أعلم شيئا عن وصول العرب الى نفس سويسرة مع بقائهم فيها مستقلين بعدة من القلاع والبقاع نحوا من مائة سنة وبلوغهم بحيرة كونستانز الشهيرة من جنوبي ألمانيا

وأول من نبه فكري الى هذا الحادث العظيم من ما جريات الفتح العربي الاوربي هو الاستاذ هس المستشرق السويسري الذي أقام مدة بمصر وعرف كثيرين من كبراء المصريين والذي يمت الينا بحبل صداقة اكيدة كانت بينه وبين استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده — برد الله ثراه . فأول اجتماعي مع المستشرق المشار اليه أطلعني على تاريخ وجود العرب بسويسرة محررا باللغة الالمانية بقلم مؤلف اسمه (فرديناند كلر) مطبوعا في مدينة زوريخ سنة ١٨٥٦ وبعد ذلك استقريت هذا الموضوع فوقع في يدي كتاب ممتع جليل عنوانه تاريخ غارات

(١) لاندري ما يريد الكاتب من اكتساح رومية احقيقة هو ام مجاز؟ فالعرب لم يفتحوها ولا سلبوها وهو اوسع منا اطلاعا على التاريخ

المسلمين على فرنسة وسافواي و بيامون وسويسرة المسيو (رينو) الفرنساوي وكتب أخرى ظهر من اجماعها ومن آثار العرب الباقية ومن الاسماء العربية التي تركوها في البلاد ومن المسكوكات العربية التي لا تزال محفوظة انه كان للعرب دولة وصولة في بلاد سويسرة وانهم لبثوا فيها حقبا (الحقب بضم فسكون نحو ثمانين سنة أو اكثر) كان حافلا بالوقائع والنوادر شأنهم في كل محل دخلوه أيام كان العرب عربا والناس ناسا ....

وملخص هذه التواريخ وهو من أغرب ما جاء في حوادث الدهر أن عشرين عربيا كانوا راكبين في سفينة من سواحل اسبانية ضلت بهم الطريق وما زالت تتقاذفهم الامواج حتى رمت بهم على شاطيء خليج (سان تروبس) في جهات جينوة فخرجوا الى البر وتوغلوا بين القرى يقتلون ويأسرون واتخذوا لهم حصنا في أدغال جبل (موروس) وصاروا يشنون الغارات ويأوون اليه بالغنائم. وقيل بل ركب ٢٠ عربيا من لصوص البحر من ساحل الاندلس قاصدين سواحل بروفانس (جنوبي فرنسا) فأخذتهم الريح الى خليج غريمو أو خليج سان تروبس فخرجوا ولم يشعر بهم أحد ورأوا حول ذلك الخليج غابة ملتفة أشبة حولها سلسلة جبال فأغاروا على أقرب قرية من محل نزولهم وقتلوا أهلها وانتشروا في الناحية وألقوا الرعب في القلوب وكان الموقع مساعدا لهم بطبيعة الارض من الاشراف على البحر ثم من الغاب المشتبك ثم الجبال الشامخة فحكموا في تلك الجهات واستولوا على طرقها وقبضوا على مضايقها، وألقت هي اليهم بمقاليدها. وكان هذا الحادث نحو سنة ٨٩١ مسيحية

ولا يجب أن نأخذ كلام مؤرخي الافرنج هذا على علاته من جهة كون غزاة هؤلاء العشرين عربيا هي لصوصية صرفة وعيثا بحتا وانهم انما جاءوا للنهب والغصب فهذه شنشنة مؤرخ أوربا بازاء حوادث كثيرة في تاريخ الاسلام مع أن الواقع قد يكون خلاف ذلك وقد دلت الآثار وقامت الادلة ونهضت البراهين على أن اكثر أغراض العرب في مغازيهم في صدر الاسلام انما كان اعلاء

كلمة الله ونشر عقيدة التوحيد وانهم كانوا يرون أنفسهم هداة لاجباة ، وكانوا يستبسلون في الحروب استبسالا ويبيعون أنفسهم من الله ابتغاء الجنة فقط ويجدون ذلك فرضا عليهم على حين أن الغبي أو الغريب الجاهل للحقائق البعيد عن اكتناه أسرار هذه المغازي وما كان يجيش في صدور أهلها كان يتوهم أنها بأجمعها فتوحات دنيوية لاجل السلب والكسب، والنهي والامر، وليس التوهم بعبرة، فقد يكون هؤلاء العشرون غازيا الذين أبحروا من ساحل اسبانية الى ساحل ايطالية هم ممن نصبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ورفع راية التوحيد ونشر كلمته بين أهالي هاتيك الارضين راكبين لذلك لجج البحار، ومتوقلين عقاب الاوعار استزادة من ثواب الله، ورغبة في الشهادة في سبيل الله، وربما كان بين هؤلاء العشرين مجاهدا العالم والفاضل، والفقيه والمحدث، والشاعر والمترسل، والسائس المحنك، والقائد البصير المجرب

وبرهان ذلك واضح كالشمس من كون ٢٠ رجلا لا يقتحمون مثل هذه الغمرة، ولا يلقون بأنفسهم في برّ لا آخر له، وهم عصبة كهذه قليلة ، ان لم يكونوا من ذوي النفوس العالية، والطباع الزاكية، ولم تكن بين جنوبهم أرواح تتطالّ الى ماهو أعلى من حطام الدنيا الفانية . وليست قصة اللصوصية هذه التي تجدها في أكثر تواريخ الافرنج حاشا النقاد المدققين الذين ابتدأوا ينبهون الافكار في هذه الايام بدليل على كون هؤلاء العشرين غازيا انما جاؤا عابثين مفسدين قاصدين الغنيمة المادية ولا سيما وانك تراهم من جهة أخرى يعترفون بأنهم ما استقرت قدمهم في ذلك الساحل حتى شادوا الحصون، واستنبطوا العيون، وامتهدوا الحزون، ونحتوا الصخور، وأثروا آثار عمارة أثيلة لاتزال منها بقايا ناطقة بفضلهم الى يومنا هذا، مما يوافقنا كل عاقل منصف انها ليست أعمال لصوص ولا حكايات دعّار، وانما هي آثار أمجاد أنجاد، وقروم أجواد ، من أعاظم الرجال، وخيرة الابطال

وقد يكونون علموا بما كان عليه أهل تلك الديار يومئذ من الجهل والخمول والانحطاط في المعارف والاخلاق « فانتدبوا » لاصلاح أمورهم و « للاخذ بيدهم

في معترك الحياة » كما هي لغة الاستعمار لآن مما هو ثابت فعلا بكون شرذمة كهذه أصلها ٢ رجلالا تتمكن من نواصي تلك الديار، ولا تسود أولئك الاقوام من البحر المتوسط الى بحيرة (كونستنز) التي هي كبد اوربة — إلا وهي أرقى جدا من أهلها .ولولا الفرق البعيد في درجات المدنية ما ساد هذا القليل على ذلك الكثير، لابل لم تظهر هذه النقطة على ذلك الغدير ،

قالوا ولما رأى هؤلاء العشرون رجلا ما أصابوا من الغنم في هذه الغزاة أرسلوا الى أسبانية فوافاهم ١٠٠ رجل آخرون من ذؤبان الرجال، ومن يعتمد عليهم في مثل هذه الاحوال، فاشتدت بهذه دلك وطأتهم وصالوا على جميع هاتيك الجهات يتخمون في أهلها و يضربون عليهم الجزية ويقتدون من يشاؤن منهم بخزام الذلة والصغار وساعدهم على ذلك ما كان فيه أهلي تلك الانحاء من اختلاف الكلمة وتفرق الاهواء، فكان بعضهم يستعين بهم على بعض [1] فعصفت ريحهم في هاتيك الآفاق، وصاروا ينصرون بالرعب، واصبح الفرد الواحد منهم لا يبالي أن يلاقي ألفا فما مضت بضع سنوات حتى صار لهم عدد من الابراج والقلاع أهمها في الجبال المسماة فراكسينا توم Fraxinatum أو فراكسينه ولا تزال من بقايا آثارهم فيها أبنية ماثلة وبيوت منحوتة في الجبال ،وآبار محفورة في الصخور

قال المؤرخ (رينو) السابق الذكر وكان ذلك في اواخر القرن التاسع للمسيح. ثم وصلوا الى سلسلة جبال الالب الشهيرة، وسنة ٩٠٦ اجازوا مضايق دوفينه وجبل سينس واستولوا على نوفالس في حدود البيامون ونهبوا الاديرة التي هناك وشردوا الرهبان وأثخنوا في لاهلين فاجتمع هؤلاء عليهم وأحاطوا بهم وأخذوهم أسارى وشدوا أوثقتهم ووضعوهم في دير مار اندراوس فحطم هؤلاء الاسرى القيود

(١) المنار : وهكذا تفعل العرب اليوم كان المئة بعد العشرة يحتلون قلب أوربة و يعيشون فيها أعزة وتستعين بهم أمم الفرنجة بعضها على بعض وهم اليوم مئة مليون ولكنهم أذلة في بلادهم و يستعين بعضهم على بعض بالاجانب كما يفعل ملك الحجاز واولاده

وأفلتوا وانقضوا على أعدائهم فهزموهم وأحرقوا الدير وقسما من المدينة وما زالوا يعيثون ويشنون الغارات حتى انقطعت الطرق بين فرنسة و يطالية، ثم يقول رينو ان العرب استولوا على مقاطعة فالي وزحفوا الى قلب بلاد الريزون وصاقبوا بحيرة جنيف وتقدموا الى بلاد الجورة في سويسرة Garu وكانت سويسرة حينئذ من مملكة بورغنيه ففرت أم الملك كونراد الى برج منفرد في نيوشاتل (احدى ولايات سويسرة اليوم) ولما ضاق ذرع الاهالي جميعا بهؤلاء العرب لا سيما أهل بروفنس وسويسرة وايطالية ثار هوغ كونت (١) بروفانس وعزم ن يتولى كبر هذه المسئلة ويطرد العرب من تلك الديار ويستولي على معقلهم الاشم في فراكسينه وارسى الذي لهم في خليجها فاستنجد هوغ صهره صاحب القسطنطينية ليمده بالاسطول وبالنار الاغريقية فحصر الاسطول وهاجم العرب من البحر بينما الاهالي يهاجمونه من البر وضاق بالعرب الخناق فاعتصموا بالجبال وأعيا أمرهم هوغ فلم يلبث أن صالحهم ولا سيما بعد أن رأى خصمه برنجر قام ينازعه الملك فاستقر أمر هؤلاء وجعلوا يحرثون الارض و يبنون ويغرسون وتزوجوا بنساء من البلاد وبثوا قابضين على جبال الالب لا سيما ممر « سان برنار » (الشهير الى الآن) وأقامت منهم فئة بمدينة نيس وفيها حارة باسمهم الى هذا اليوم

وفي سنة ٩٦٠ تمكن الاهالي من طرد العرب من سان برنار بعد معركة شديدة وسنة ٩٦٥ أجلوا عن « غرنوبل » وعن وادي « غريزي فودان » وبعد ذلك اجتمعت عليهم جيوش عظيمة من كل صوب وهزموهم وقتلوا كثيرهم وتنصر بعضهم ويظن أن فلهم فر الى افريقية وأسبانية وقد بقيت لهم قرى تنصر أهلها ومن أبى منهم النصرانية صاروا عبيدا يشتغلون في أراضي الاديرة وكان سقوط حصن فراكسينة سنة ٩٧٥ بعد ن أقاموا به أكثر من ٨٠ سنة وسمعت من بعض من يعرف أمور سويسرة انه يوجد الى اليوم قريتان في مقاطعة فالي Valeé يركب أهلها الخيول بسروج عربية ولهم عادات كثيرة خاصة بهم وهم لا يتزوجون من سائر الاهالي ولا يصاهرونهم لها بقية

(١) والعرب يقولون كونه

كتاب من الخرافات الى الحقيقة

٧

(٧٠) اعتنى المسلمون قديما بالرياضة البدنية اعتناء زائدا ، لان العقل الصحيح لا يكون إلا في الجسم الصحيح ، ولذلك كانوا يعلمون الشبان فنّ الفروسية والرماية والسباحة اتباعا للحديث الشريف القائل « علموا أولادكم السباحة والرماية » [١] « وعليكم بالرمي فانه خير لهوكم » [٢] و« الرمي خير ما لهوتم به » [٣]

ليتأمل العاقل نتيجة دين يأمر بتوسيع دائرة المعارف وتزييد أسباب الثروة وتقوية البدن وفن (الحرب) وهذه الاركان الثلاثة متصل بعضها ببعض كما لصقت محاسن الاخلاق بالتحاب والتواد ، هل يقف أمام قوم هذا منهاجهم مهما قل عددهم وعديدهم أعظم أمبراطورية ؟

(٧١) الرحمة للصغير واحترام الكبير كان خلقا راسخا لانه (ص) قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يعرف شرف كبيرنا » [٤]

(٧٢) الاقتصاد كان أساساً للمعاملات المالية وفي الحديث « ما عال من اقتصد » [٥]

(٧٣) الشح وكان مذموماً جدا ، وجاء في الحديث الشريف « ما محق الاسلام محق الشح شيء » [٦]

(٧٤) السخاء كان أمرا ممدوحا جدا ، قال (ص) « أقيلوا السخي زلته فان الله آخذ بيده كلما عثر » [٧]

من لا يعرف أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما سمحا بثروتهما لاجل استكمال وسائل الحرب ؟

« ١ » رواه ابن مندة في المعرفة والديلمي في مسند الفردوس بسند حسن

« ٢ » الطبراني في الاوسط عن سعد بسند صحيح « ٣ » الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر

« ٤ » احمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمر بسند صحيح

« ٥ » احمد عن ابن مسعود بسند حسن « ٦ » أبو يعلى عن أنس باسناد حسن « ٧ » الخرائطي في مكارم الاخلاق عن ابن عباس باسناد صحيح

(٧٥) أما البخل فكان في أقصى درجات المعيبات والمذمومات. لقوله (ص) فيه «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»[١]

(٧٦) حرية الوجدان وحرمة المساكن وصيانة الملك بأنواعه ولا سيما الكتب والرسائل وأمثالها من الحريات السياسية التي طالما افتخر بها الاوربيون وقد كانت من جملة ما جاءنا به نبينا قبل ألف سنة وكسور. قال الله تعالى (لكم دينكم ولي دين) (لا إكراه في الدين). وقال رسوله «من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقؤا عينه»[٢] وقال الله (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ص) «من اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار»[٣] وقصارى القول لو اعتنى علماؤنا باستخراج أمثال هذه الاحاديث لوجدوا فيها من الوثائق ما هو كاف لابطال كل دعوى اتهم بها الدين الحنيف.

ومما يوجب الاسف أن المصائب التي حلت بالمسلمين كأنها لم تكف لفتح عيونهم لتحري أوامر هذا الدين المبين التي تقتضي أن يكون متبوعه في طليعة العلماء والاغنياء والاقوياء والامراء. واعجباه!

(٧٧) ان التهيؤ للخصم ومقابلة قوته بالقوة من أسس الاسلام لذلك قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهل للمسلمين بعد هذا أن يكلوا الامور لمشيئة الله تعالى ويعطلوا قوائم وأوامر القرآن ويعدوا ذلك من الاسلام؟

(٧٨) أرشد (ص) الى حسن اختيار الموظفين بقوله «لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء»[٤] فهل يحل بعد هذا أن يقبل الوالي المسلم الشفاعات لاجل توسيد الامور العامة لغير أهلها

(٧٩) كانوا يعتنون بكل ما يزيد الثروة العمومية ولا سيما تربية الغنم لانه (ص) قال «اتخذ الغنم فانها بركة»[٥] وغير خاف على أحد ما للغنم من المكانة الاقتصادية في عصرنا. ليتنبه الكسالى.

«١» البخاري في الادب المفرد والترمذي بسند صحيح «٢» احمد ومسلم من حديث أبي هريرة «٣» الطبراني في الكبير عن ابن عباس

«٤» رواه الحارث من حديث ابن مسعود وصححوه «٥» الطبراني والخطيب عن ام هاني وابن ماجه بلفظ «اتخذي»

(٨٠) كانوا يضمون الشيء في محله ويتباعدون عن الاسراف والتبذير استرشادا بقوله (ص) « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله عز وجل » [١] وهذا يدل على أنه لم يكن من المعروف في عصره (ص) تخصيص الثروة لاناس كسالى يتلمون على ظهورهم تاركين العمل وعادن هذا عبادة

(٨١) كان العمل والجد ممدوحا والكسل مذموماً لقوله (ص) « من بات كالا من عمله بات مغفورا له » [٢]

(٨٢) أشد ما اعتنت به الديانة الاحمدية الصناعة والتجارة لانه (ص) قال « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » [٣]

(٨٣) كان الفقر مكروها مستعاذا منه وانما يطلب الصبر عليه وكان (ص) يقول « أعوذ بالله من الفقر والعيلة ومن أن تظلموا أو تظلموا » [٤] و« اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » [٥] إن أبا بكر كان تاجرا غنيا . وكذلك ذو النورين . واكتسب طلحة والزبير ثروة هائلة من التجارة .

(٨٤) ما كان أحد في أوائل الاسلام ينكمش في زاوية أو تكية ليأكل ويشرب من ثمرة حد غيره باسم العبادة . لانه (ص) قال « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » [٦]

لذلك كان كل واحد يشتغل بعمل من الاعمال حسب قدرته العقلية والبدنية

(٨٥) الحراثة كانت محترمة جدا وقد أمر بها سيدنا (ص) بقوله « احرثوا فان الحرث مبارك واكثروا فيه من الجماجم » [٧]

(٨٦) الحياة الاستقلالية كانت أساس عمل كل فرد . لانه (ص) قال

« ١ » احمد ومسلم واصحاب السنن ما عدا ابا داود عن ثوبان

« ٢ » ابن عساكر عن انس بسند صحيح « ٣ » احمد والطبراني والحاكم عن رافع بن خديج والطبراني عن ابن عمر وهو حديث صحيح

(٤) الحاكم في المستدرك بلفظ « تعوذوا بالله . — وآخره — وان تظلم او تظلم »

(٥) ابو داود والنسائي وابن ماجه » (٦) البزار والطبراني والبيهقي عن ابن عباس وهو صحيح (٧) ابو داود في مراسيله عن علي بن الحسين مرسلا

« خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس »[١] لذلك كان كل يسعى لئلا يكون حملا ثقيلا على المسلمين — شأن البطالين والكسالى اليوم .

(٨٧) الاتجار في الاقطار وجلب ما يحتاجه الناس كان من الامور الممدوحة . والاحتكار كان من الامور المذمومة جاء في الحديث « الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله »[٢] هنا أدعو القاريء الكريم لان يطالع بحث التجارة الخارجية وبحث الاحتكار في كتب الاقتصاد السياسي ليرى علو معنى هذا الحديث .

(٨٨) التبذير وعمل الاشياء التي لا فائدة منها كانت مجهولة عندهم. لان النبي (ص) « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »[٣] من هنا يفهم أن انتشار الترب وزيارتها ليس من الاسلامية في شيء . وقد انتقلت هذه الخرافة لديننا الصافي النقي من أساطير الهنود القديمة .

اذا إتلاف شيء من الزاد وإيقاد الشموع على القبور موجب للعنة فأين المتأملون؟

(٨٩) في القرون الوسطى كان للنصارى في محلات مختلفة صوامع ينقطعون للعبادة فيها . فنهانا نبينا عن ذلك « لا رهبانية في الاسلام » . لان الله أمرنا بالعمل إذ قال (وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)

(٩٠) ان ذبح القرابين والضحايا على القبور ممنوع في دين الاسلام لانه جاء في الحديث « لا عقر في الاسلام »[٤]

(٩١) النذر لغير الله ليس مشروعا لقوله (ص) « لا وفاء لنذر في معصية الله »[٥]

(٩٢) تعليق بعض الاشياء على الاولاد وغيرهم لدفع النظرة أو استكتاب النسخ لاجل محبة الازواج لزوجاتهم من أمور الشرك نعوذ بالله لقوله (ص) « إن الرقى والتمائم والتولة شرك »[٦] ليتنبه الغافلون ! المبذرون .

(١) الخطيب عن انس بسند صحيح «٢» الحاكم عن اليسع بن المغيرة مرسلا «٣» ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وليس سبب اللعن التبذير بل ان هذا العمل من العبادات الوثنية (٤) رواه أبو داود عن أنس (٥) احمد عن جابر بسند حسن ، والنذور للموتى منها ما هو من أعمال الشرك ولا فائدة في شيء من هذه النذور وانما يستخرج بها من مال البخيل كما ورد في حديث آخر (٦) احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح

(٩٣) نهى النبي (ص) لمن ربط القلب بالمشعوذين وقال « من تعلق شيئا وكل له »[١] والنتيجة الحرمان .

(٩٤) نهى كذلك عن مراجعة العرافين الذين يبتزون أموال الناس بدعوى الاخبار عن الغيب ، قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوما »[٢] ولان الله تعالى قال في كتابه الكريم آمراً نبيه أن يبلغ الامة . (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك) .

فما قول خفاف العقول الذين يطلبون علم الغيب من العرافين بعد ما جاء في هذه الآية الكريمة ما نرى من الصراحة ؟

(٩٥) نهى (ص) عن التشاؤم من الاسم أو من صوت الطير وعن الرمل وعد ذلك وثنية فقال « العيافة والطيرة والطرق من الجبت »[٣]

(٩٦) وكذلك عد التطير شركا فقال « الطيرة شرك »[٤]

(٩٧) كانوا لا يتشاءمون من طير الطائر ولا يعتمدون على أقوال الكهنة والسحرة . لانه (ص) أخرج من يفعل ذلك من الجمعية الاسلامية اذ قال « ليس منا من تطير ولا من تطير له أو تكهن أو تكهن له أو تسحر أو سحر »[٥]

(٩٨) الحسد والنميمة والكهانة كانت بمنزلة واحدة لانه جاء في الحديث الشريف « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه »[٦] أين من يعتبر؟

(٩٩) لا واسطة بين العبد والمعبود في دين احمد . وكل فرد مسؤل عن عمله لان الله تعالى قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أما يعمله أو يتخذه بعض الجهلة من الوسطاء لله تعالى فهو مأخوذ من الامم السابقة وتقليد (للاغراء) من النصارى و (للبراهمة) عند الهنود القدماء و (لمونيه) عند الزردشتيين وللكاهن عند الكلدان . وما لهذا مكان في دين الاسلام .

(١٠٠) ان الله غني عن أية واسطة بينه وبين عبده . لانه قال في كتابه

«١» احمد والترمذي والحاكم وحسنوه «٢» احمد ومسلم عن بعض امهات المؤمنين «٣» ابو داود عن قبيصة وهو صحيح . (٤) احمد والبخاري في الادب المفرد واصحاب السنن عن ابن مسعود (٥) الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين وهو حسن (٦) رواه أيضا عن عبد الله بن بسر

الكريم (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

وأما بناء القبور الفخمة والمزينة واتخاذها ملجأ لقضاء الحاجات فهو ليس من الاسلام في شيء . ولكنه تقليد للنصارى والهنود والايرانيين كما سيجيء تفصيل دخول هذه الخرافات في تعاليم الاسلام .

(١٠١) الغيبة كانت مستكرهة جدا . لان الله قال (ولا يغتب بعضكم بعضاً . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟) والاحاديث في تحريمها كثيرة ليتنبه الاغنياء الذين يقضون أوقاتهم باغتياب الناس والسمعة في أيديهم

(١٠٢) لم يعتن الدين الاسلامي بشيء كما اعتنى بالعلم . وقد جاء في الحديث « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر »[١] وقال أيضاً « العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع »[٢] و « فضل العلم أحب الي من فضل العبادة »[٣] و « أفلح من رزق علما »[٤]

(١٠٣) الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي من أهم قواعد الدين الحنيف وحفظا لكرامة البشر جاء في القرآن الكريم (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

فان كان جل جلاله ينهى نبيه عن السيطرة ، فهل يكون هناك دين يكفل الحرية أزيد من دين الاسلام ؟ وسنبحث في مقابلة الاسلام بغيره في هذه المسألة بحثا خاصا (لها بقية) حسني عبد الهادي

« ١ » الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس « ٢ » الخطيب وابن عبد البر في كتاب العلم « ٣ » الطبراني في الاوسط والحاكم عن حذيفة والثاني عن سعد وتتمته « وخير دينكم الورع » وهو صحيح « ٤ » البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب بلفظ « افلح من رزق لبا » اي عقلا

أحوال العالم الاسلامي

﴿ مؤتمر الصلح بين الترك وأوربة في لوزان ﴾

عرف الترك كيف يعاملون أوربة في هـذا المؤتمر معاملة الامثال ، ويدلون إدلال المنتصر في القتال ، وعرف من لم يكن يعرف من العالم ان أوربة المادية لا تحترم الا القوة ، ولا تذل الا للقوة ، ولا تعترف بحق لغير القوة ، وقد جلبت الدول الكبرى الى لوزان أمماً كثيرة من الشرق والغرب جعلتها عونا لها على الترك ، فالأرمن طلبوا وطناً قومياً في بلاد الاناضول ، كالوطن الذي تؤسسه انكلترة لليهود في فلسطين من بلاد العرب ، وشرذمة من بقايا الاشوريين والكلدانيين يطلبون وطناً قومياً في العراق ، وأوربة هي التي تؤيد هؤلاء وأولئك لانهم نصارى بالمساومة بهم ، ونصارى الشرق مازالوا شرّ آلة في يد دول الاستعمار المادية تستعملها للتفريق بين سكان البلاد التي تطمع فيها وتلقي بينهم وبين الاكثرين من أبناء وطنهم العداوة والبغضاء ، باسم المسيحية التي تأمر بمحبة الاعداء (!!) وتمنيهم بالسعادة والملك اذا خانوا أوطانهم في خدمتها ، وهم أهون عليها من نعالها ، ودماؤهم أرخص لديها من غسالة أرجلها ، والا فليؤسسوا الوطن القومي الذي وعدوا الارمن ومنوهم به حتى حملوهم بالتغرير والتضليل على خيانة دولتهم العثمانية التي كانوا أنعم وأعز فيها من جميع شعوبها حتى اضطرت الى البطش بهم . عرف العالم كله كنه مسيحية دول الاستعمار وغيرتها على المسيحيين بعد تبرؤهم من الارمن كما تبرأ الشيطان ممن أغراه بالكفر . وكان القبط أعقل نصارى الشرق فاتفقوا مع المسلمين ولم يقعوا في الفخ الذي كان يراد به تضحيتهم — فمتى يعقل من يدعون أنهم أذكى البشر وأحذقهم وأدهاهم ويفيقون من سكر تعصبهم ؟

كان الوفد التركي في لوزان أدهى الوفود وأحزمها ، فما زال يخضخض وفود الدول العظمى ويمخضها حتى لم يترك لاتحادها عليه مع البلقان قيمة واضطرها الى تساهل

لم يسبق له نظير في معاملتها للترك في المؤتمرات السابقة منذ عدوا دولة أوربية ، وداس في لوزان كل ما كان من عظمة هذه الدول وجبروتها وكبريائها في فرسايل ، وسيفر ، وسان ريمو ، ثم انه لم يقبل المعاهدة التي حررت وقيل انها منتهى ما يمكن من التساهل والسخاء الحاتمي مع الترك . بل حملها الى المجلس الوطني في أنقرة ليرى رأيه فيها ، وقد غلب الدهاء البريطاني الذكاء الفرنسي في هذا المؤتمر فتحول الترك بعده عن فرنسة وتقربوا من بريطانية ، وطفقت جرائدهم — وقد سكتت عن الطعن في الانكليز — تطعن في فرنسة وتعدها أكبر خصومهم فجعلت تبجح فرنسة بصداقة الاسلام مدة سنتين هباء منثوراً.

الوفود العربية في المؤتمر :

كان للجنة المؤتمر السوري الفلسطيني وفد في جنيف عند اجتماع جمعية الامم فيها ثم انتقل الى جنوى عند انعقاد المؤتمر الاقتصادي فيها — فكان هذا الوفد أسبق الوفود القومية غير الدولية الى لوزان عند الشروع في عقد مؤتمر الصلح فيه وكان رئيس هذا الوفد الامير شكيب أرسلان وهو لحسن الحظ صديق للترك قديم يعرفه كبراؤهم وخواصهم . ثم ذهب وفد من فلسطين واتحد بهذا الوفد ، وذهب وفدان من مصر واتحدا هنالك أيضاً . واجتهد السوريون والمصريون في استمالة الترك ومطالبة وفدهم بالاعتراف باستقلال القطرين وسائر البلاد العربية عملا بالميثاق الوطني التركي . وكان الغرض أن يقترح جعل ذلك في معاهدة الصلح ، وبأن يتوسل الى مؤتمر الصلح بقبول عرض مطالبهما له رسمياً فلم ينجحا في هذا ولا ذاك . وكل ما كان ان عصمت باشا رئيس الوفد التركي صرح بالاعتراف بان الترك قد تركوا لمصر والولايات العربية العثمانية أمر تقرير مصيرها واستقلالها وكانت فائدة ذلك أمام الدولتين المحتلتين لهذه البلاد انهما تحولتا عن طمعهما بأن ينص في معاهدة الصلح على تقرير الحالة الحاضرة في مصر والانتداب في سورية وفلسطين والعراق وقنعتا بأن تحدد بلاد الدولة التركية تحديدا يخرج منها

سورية والعراق، بله افريقية العثمانية، وفائدة هذا سلبية محضة. وههنا وقع الخلاف في ولاية الموصل فالترك يعدونها من بلادهم التي حددوها في الميثاق الوطني، وقد ناقشهم الوفد البريطاني في ذلك باسم دولته الوصية (المنتدبة) على العراق وأقرها على ذلك الملك فيصل ووالده الملك حسين — وانما جعلتهما ملكين لمثل هذا التأييد الذي هو لازم الحماية والتابعية

هذا وان كلا منهما قد أرسل مندوبا الى لندن ولوزان، فكانا في لوزان تحت تصرف لورد كرزون قولا وعملا، ولما اعترف عصمت باشا باستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز بسعي الامير شكيب أرسلان، بادر مندوب الملك حسين بتطيير النبأ الى مولاه بالبرق ليوهمه ان هذا كان بعض ثمرات سعيه. ثم بلغ شركة روتر ان عصمت باشا ذكر في ضمن اعترافه أن الملك حسينا رئيس الامة العربية وأكبر زعمائها الممثل لها فطيرت هذه الفرية في الاقطار لتكون توطئة وتمهيدا لتنفيذ المشروع الذي تعده وزارة المستعمرات البريطانية للبلاد العربية. وان عقل عصمت باشا ليربأ به أن يفتات على الامة العربية بالصدق فكيف يفتات بالكذب

كيد السياسة البريطانية للبلاد العربية

لم تنجح وزارة المستعمرات البريطانية النجاح التام باقناع دافعي الضرائب من البريطانيين وممثليهم في مجلس النواب بأن نصبهم الامير فيصلا ملكا على العراق والامير عبد الله على شرق الاردن يضمن للدولة البريطانية استمار فلسطين والعراق بدون نفقة كثيرة ترهق دافعي الضرائب عسرا، ويؤسس لدولتهم أمبراطورية عربية جديدة تفيض على الخزينة تبرا، وعلى المستعمر السكسوني عسلا وخمرا، ورأت هذه الوزارة في عهد المحافظين — الذين هم أشد قومهم جشعا وحرصا على الاستعمار، وضراوة باستعباد الاحرار — ان الترك مصرون على انتزاع الموصل من ملك العراق، وان استيلاءهم على الموصل يمكنهم من الاستيلاء على بغداد في

كل وقت بكل سهولة ، وان عرب العراق كغيرهم يفضلون الترك على البريطانيين بعد أن بلوهم وعرفوا إفكهم وخداعهم ، وذا قوامرارة جبروتهم وظلمهم ، فلا يمكن أن يحاربوا الترك معهم أو تحت قيادتهم ، لاجل أن تكون العراق مستعمرة هندية لهم . ومن البديهي ان بريطانية لا تستطيع قتال الترك في العراق وحدها ، وضلع العرب معهم عليها ، ولو تصدت لذلك لقامت عليها الاحزاب البريطانية بأسرها ، وخشي أن يمتنعوا من بذل مئات الملايين من الذهب والرجال، في هذه المقامرة التي تجر وراءها الخزي والنكال ، وشدة وطأة المقاطعة في الهند ، وشبوب نيران الثورة في فلسطين ومصر ، — ورأت هذه الوزارة أيضاً أن بعض الجرائد والاحزاب وكبار الساسة من الانكليز يطالبون الحكومة بالجلاء عن العراق وفلسطين من قبل الاستهداف لهذه الاخطار — ورأت أن جعل فلسطين مملكة يهودية فاصلة بين مصر وسائر بلاد العرب ليست من الهنات الهينات ، وانها قد صارت من المسائل الاسلامية العامة . فالهند قد وضعت استقلال فلسطين وسائر البلاد العربية في برنامجها، وإمام اليمن على عزلته قد احتج بها عليها ، وكاد أهل اليمن يجلون اليهود من بلادهم لاجلها ، حتى ان حكومة عدن البريطانية أجابت اليمن بأن مسألة احتلال فلسطين عرضية موقتة وانهم سيتركونها لاهلها بعد بضع سنين ريثما تستقر الاحوال ! وهذا الجواب من أسلوب الحكيم فانهم انما يعنون باستقرار الاحوال حل مشكلات الكون الكبرى وتوطيد سلطانهم حيث وضعوا أقدامهم

رأت وزارة المستعمرات كل هذا وأكثر منه مما نعلم ومما لا نعلم فرجحت إحداث تغيير جديد في شكل ادارة البلاد العربية وتجديد الضغائن والبغضاء بين العرب والترك قطعا لطريق الجامعة الاسلامية، قبل أن يستيقظ جمهور الشعب العربي من رقاده، ويثوب الجمهور المخدوع منه الى رشاده، ويدوس الزعماء المتجرين به وببلاده ، وهي مراقبة لما حدث من تحول العراق عن فيصل وعدم انخداعه بالمعاهدة ، وفلسطين عن عبد الله ، وانه لما عاد من زيارتهم في أوربة لم يزره ولا هنأه من أهلها أحد ، على ما بثه وبثه أجراؤه من الدعاية (البور بغندة) في شأن رحلته

وفوائدها المنتظرة (؟) كما أنها عالمة بما كان من فشل حسين في محاولة استمالة الامامين يحيى والادريسي ، وليس لهم أحد يعتمدون عليه من كبراء الامة العربية غير أهل هذا البيت الذي هو رئيسه — لا رئيس العرب — يطالبها باسم العرب — لا باسمه — بانجاز ما وعدته من تأليف مملكة عربية بقوتها وتحت وصايتها وحمايتها ، بشرط أن يكون هو رئيسها، تمتد من البحر الاحمر الى حدود الاناضول وتحتل هي ولاية البصرة منها وتقدم لسائر الولايات المستشارين والموظفين الذين يديرون شؤونها

مشروع الشكل الجديد لاستعمار البلاد العربية

فالمشروع الذي تدرسه وزارة المستعمرات مبني على التوفيق بين مقاصد معاهدة سايكس بيكو ووعود (السر هنري مكماهون) الملك حسين في أثناء ما دار بينهما من المكاتبات التي عرفها قراء المنار في المجلد السابق منه (م ٢٣) . ولما كان هذا التوفيق لا يتم الا بتوقيف فرنسة عليه، واقناعها بجعل داخلية سورية داخلة في المملكة العربية الشريفية ، والقناعة الموقتة بجعلها منطقة نفوذ فرنسية، وحصر الانتداب المباشر المؤيد بالاحتلال العسكري في المنطقة الساحلية كما تقنع انكلترة بجعل العراق منطقة نفوذ بريطانية وحصر الحكم الاحتلالي المباشر في ولاية البصرة — لما كان الامر كذلك كاشفت وزارة الخارجية البريطانية حكومة الجمهورية الفرنسية بعزمها معتمدة في اقناعها على التخويف من استيلاء الترك على سورية والعراق والقيام بحركة الجامعة الاسلامية التي يمتد خطرها الى شمال أفريقية الفرنسي فيفسده على وليه أمره كما يفسد الهند ومصر على الدولة البريطانية — وكانوا قد مهدوا السبيل لذلك بتدريب الامير عبدالله على استمالة فرنسة الى شخصه قبل سفره الى لندن وفي أثناء وجوده في أوربة . ومن حججهم التي قويت بعد اعراض الترك عن فرنسة في أواخر العهد بمؤتمر لوزان أن أسرة الملك حسين هي الاسرة الوحيدة التي أشربت دون غيرها من البيوتات

العربية بغض الترك والحقد عليهم . وكان الغرض من هذا السعي أن يجعل الامير عبد الله ملكا على شرقي الاردن وولاية دمشق وحلب ما عدا سواحل حلب وما ألحق من ولاية دمشق بلبنان الكبير، و بذلك يسهل حمل أهل هذه البلاد واهل العراق على مبايعة الملك حسين بالخلافة، فينشق العالم الاسلامي فيها وتستحكم العداوة بين الترك والعرب و يتيسر للدولتين ضرب أحدهما بالآخر عند الحاجة الى ذلك . وتدوم لها السيطرة على البلاد العربية

وقد درست وزارة خارجية فرنسة هذا المشروع فرجح عندها عدم الثقة بهؤلاء الحجازيين صنائع الانكليز الذين لا تأمن فرنسة اغراءهم باخراجها من سورية عند سنوح الفرصة وارادة الانكليز ذلك ، وقيل انها كانت تدرس معه مشروعا آخر مضاداً له وهو جعل هذه البلاد تحت سيادة الترك اذا رضوا بأن تكون مناطق نفوذ لهم وللانكليز و بذلك يقضون على النهضة العربية و يكتفون أخطارها ولكنها لما تقرر هذا ولا ذاك

ولما شعر الناس في سورية بهذه المفاوضات والمباحث، انبرى أصحاب الاطماع يتزلفون الى حيث يتخذ كل منهم له يدا يستغلها عند تنفيذ المشروع المنتظر ولهجت بذلك جرائد سورية ومصر منذ بضعة أشهر فكانت شقشقة هدرت وتلتها أخرى ثم قرتا في سورية وكذبتهما الحكومة المحتلة وان لم يصدق كل الناس تكذيبها في وقتها

وأما الدولة البريطانية فلا تزال تدرس المشروع وقد توسل أعوانها في العراق بطلب الترك للموصل الى تنفير العراقيين منهم من حيث أظهرت هي الميل الى إنجاز الوعد باستقلالهم والاستعداد للجلاء عن بغداد لولا أن قام الملك فيصل يستغيث بها أن لا تفعل وشهد وفده لديهم أو صنيعتهم عنده (جعفر باشا العسكري) بان خروجهم من العراق نكبة ما بعدها نكبة (!) وهل هذه الشهادة الاشهادة عليه وعلى مولاه الملك فيصل بما يفهمه كل أحد (؟) وهل يخفى على الانكه ان هذه الدولة اذا لم تخرج في مثل هذه الفرصة من العراق فلن تخرج منه بعد ذهابها

الا بانقلاب جديد في العالم تزلزل به الارض زلزالها ، وتخرج أثقالها ، ويتقوض صرح الامبراطورية البريطانية كلها ؟ ولن يكون هذا بعمل العراق بل لن يكون للعراق عمل في الوجود بعد استقرار السيطرة البريطانية عليه الا زرع القطن للمعامل الانكليزية واستخراج البترول لها وما أشبه ذلك، وماذا يهم فيصل وآل فيصل اذا شقي العراق واستعبد وهو متمتع فيه بلقب الملك وأبهته ونعمته وفخفخته ؟ ألم يكن يسعى لمثل ذلك في سورية وكان كل الخلاف بينه وبين الوطنيين عليه؟ بلى وقد ظهروا عليه حين أعلنوا الاستقلال واضطروا الى اكتفاء شرسعيه للوصاية الاجنبية بجعله ملكا عليهم حتى اذا ما ألح عليه الجنرال غورو باعلان الوصاية الفرنسية أجاب بالقبول، قبل أن يوجه اليه الجنرال الانذار المعلوم ، وهذا أمر لم نعلمه الا من عهد قريب . ولذلك لانستبعد الآن أن يكون الانذار عن تواطؤ بينهما ليتخذه فيصل ذريعة الى اقناع المؤتمر السوري العام وسائر زعماء البلاد بقبول الوصاية التي بذل جهده قبل ذلك في اقناعهم بها فأبوا — ويؤيد هذا انتظاره الاحتلال الفرنسي في ضواحي دمشق حتى اذا ماتم عاد الى قصره ليقوم بأمر الملك تحت وصايته وظله (؟؟) ولو رضي الفرنسيس أن يبقى فيصل في دمشق لرضي هو بمحاولة اسلاس البلاد لهم بدون نفقة تذكر كما فعل أخوه للانكليز في شرق الاردن ولكان هذا شراً للبلاد لا خيراً لها ، ولو أن الانكليز جعلوا هذا ملكا على فلسطين كلها لكان تنفيذ الوصاية والوطن القومي لليهود أقرب منالا وأقل نفقة ، ولكن الله نجى فلسطين من هذه النكبة لانه أراد أن ينفخ فيها روح القومية والوحدة الصحيحة ، فلولا هذا الاتحاد بين عرب فلسطين المسلمين والمسيحيين لحكمنا على هذه البلاد حكما محزنا مخزيا ، وقد كان من فوائد هذا الاتحاد واليقظة أن علم الشعب الفلسطيني كله ما كان خفيا الا على أفراد منه وهو ان الامير عبد الله الحجازي صنيعة الانكليز كأبيه وأخيه وانهم موطنون أنفسهم على أن يكونوا ملوكا في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة كسلطان زنجبار ونظام حيدر آباد وراجا كشمير وأمثالهم، أما وقد عرفت حقيقتهم فقد صاروا عاجزين « عن تسليم البضاعة »

نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبأنه لا يمكن أن يتفق الانكليز مع هؤلاء الملوك الحجازيين الا على استعمار البلاد العربية واستعمار الشعب العربي وان كل تغيير يجددانه في البلاد العربية تجارب بريطانية كالتجارب التي نراها في مصر، فيجب على الامة العربية أن لا تثق بشيء يجري بين الفريقين، عملا بالحديث الصحيح « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

نبأ عن النهضة الافغانية * وكونها دينية مدنية

ألم مراسل جريدة الاخبار المصرية في الآستانة بمدينة (رومية) عاصمة الدولة الايطالية في طريقه الى (لوزان) وزار فيها السردار عظيم الله خان سفير الدولة الافغانية فيها فوجده في دار السفارة يقرأ القرآن العظيم وبعد أن تعارفا دار بينهما الحديث الآتي وكان المراسل سائلا والسفير مجيباً

الافغان وإيطاليا

س — هل أسست الحكومة الايطالية سفارة لها في (كابل) مقابل السفارة الافغانية التي تأسست في (روما) ؟

ج — أجل لقد أسست الحكومة الايطالية سفارة لها في (كابل) وعينت الماركيز (بيترتو) سفيرا لها لدى جلالة أمير الافغان . وقد تم الاتفاق بين شركة أفغانية وشركة إيطالية على مد خط أوتوموبيل بين (كابل) و (بشاور) الى مدة ١٢ سنة بحيث يكون ٦٠ في المئة من رأس المال إيطاليا و ٤٠ في المئة أفغانيا.

س — هل عقدت أو تتفاوض الحكومة الافغانية لعقد معاهدات أو اتفاقات سياسية أو اقتصادية مع إيطاليا ؟

ج — انني لم أصل الى عاصمة ايطاليا الا منذ أيام قلائل . بيد أننا سنسعى لعقد معاهدات تجارية مع ايطاليا لان لدينا مواد كثيرة يمكننا تصديرها الى البلاد الايطالية ومن هذه المواد الصوف وجلود استراخان ، والسجاجيد

والواكه احافة و بعض المعادن كالذهب والفضة والحديد و (الزنك) والنحاس والكبريت وبعض الاحجار الكريمة كالزمرد والياقوت والماس وغير ذلك

وهنا دعا دولة السفير تابعه وأمره أن يحضر نماذج المعادن الافغانية فأطاع التابع وأحضر عددا من العلب فتحها السفير وألقى ما فيها على جريدة فرشها على المكتب وأرانا أنواع الحديد والرصاص والزنك والنحاس والذهب والفضة . وقد كان من بينها ما هو خام وما هو نقي . ثم إنه فتح العلب التي تحتوي على الاحجار الكريمة وأرانا أنواع الياقوت والزمرد والماس والزبرجد مقدما لنا بعض التفصيلات عن المناجم التي تحتوي هذه المعادن ،قائلا: ان من بينها ما لا يستطيع العالم بأسره ان يستنفده . وقد قضينا نحو نصف ساعة في فحص هذه المعادن والاحجار ولما انتهينا من فحصها عدنا الى حديثنا فسألنا دولته

السياسة الافغانية في الغرب والشرق

س — ما اساس السياسة الغربية التي تتبعها الحكومة الافغانية ؟

ج — « الصلح والمسالمة . لقد كانت بلاد الافغان موصدة الابواب الى حين اعلان استقلالها . والآن تتعارف الافغان مع جميع الدول وستزداد بهم تعرفا كل يوم . لا تريد الافغان ان تنازع احدا وانما تريد ترقية بلادها »

وقد كان المعنى الذي استخرجناه من اقوال دولة السفير ان اساس السياسة الغربية التي تتبعها الافغان هي المسالمة الرامية الى الاستفادة من الغرب في استثمار المنابع الطبيعية الافغانية واعلاء شأن البلاد الافغانية عرفانا واقتصادا

س — اذن ما قواعد السياسة الشرقية التي تتبعها الحكومة الافغانية؟

ج — الاخاء وقد كان من احدث مظاهر هذا الاخاء تلك البرقية التي ارسلها جلالة امير الافغان الى ملك انكلترة طالبا فيها معاملة تركيا في دائرة الحق والعدل. وقد ارسلت الحكومة الافغانية برقيات في هذا المعنى لحكومتي فرنسا وايطاليا ،

س — ما رايكم في مؤتمر لوزان ؟

ج — اننا لا ننتظر الا صلحا عادلا مرضيا .

س — فاذا لم تقبل الدول تحقيق الميثاق الوطني التركي واضطرت تركيا الى مواصلة جهادها فماذا يكون موقف البلاد الافغانية نحو تركيا ؟

ج — موقف البلاد الافغانية ازاء هذه الحالة مصرح به في المعاهدة التركية الافغانية

س — لماذا لا تتأسس العلاقات السياسية بين مصر والافغان؟

ج — نحن نريد أن نؤسس مع مصر كل علاقة . وقد مر « الجناب الاعلى محمود طرزي بك » سفير الدولة الافغانية في باريس بمصر خلال سيره الى مقر وظيفته وقابل الكثيرين من رجال مصر فأكرموا وفادته ولبث هنالك مدة . واذا قبلت مصر فنحن مستعدون في الحال لتأسيس جميع العلاقات السياسية .

س — كيف شعور الافغانيين نحو اخوانهم المصريين ؟

ج — لا فرق بين الأتراك والمصريين في نظرنا ، نحب كليهما حبا جما . ونحن نتلقى أخبار مصر دائما ونتتبعها بكل شوق . وبغيتنا تأسيس جميع الروابط مع جميع الشعوب الاسلامية وعلى الاخص الشعب المصري .

مبادىء التربية في بلاد الافغان

س — اسمح لي يا دولة السفير أن أسألكم بعض أسئلة ليست سياسية . هل تتكرمون علي ببيان مبادىء التربية التي تقبلتموها لتربية أبنائكم ؟

ج — هي مبادىء التربية الاسلامية الصحيحة. وهل هناك مبادىء أشرف وأعلى من مبادىء التربية الاسلامية ؟ ان الدين الاسلامي دين الفطرة ، دين الفضيلة ، دين العزة ، دين المدنية ، دين الحق والحقيقة . فكيف لا تكون مبادئه أساس التربية في البلاد الاسلامية ؟ نحن على أتم يقين أن كل نجاح وكل فلاح نفوز به في معترك الحياة ، انما نفوز به بفضل اعتصامنا بمبادىء ديننا المبين . فاذا ما أرخينا حبل الاعتصام أخذنا في التقهقر ، والانحطاط والاضمحلال . تلك حياة المسلمين أعدل شاهد على أنهم قد ارتفع شأنهم كما رفعوا شأن العالم معهم لما

كانوا متمسكين بالدين الاسلامي. لكنهم لما أهملوا دينهم اجتمعت عليهم المصائب ولم يستطيعوا مقاومتها . فكيف يكون الامر على هذا المنوال ولا نتخذ مبادىء التربية الاسلامية أساسا لتربيتنا. أزيد على ذلك أننا نهتم في بلادنا بترقية معارفنا على هذا الاساس، اكثر من اهتمامنا بأي شيء. والجميع من جلالة الامير الى أصغر صغير يبذلون كل جهد لترقية المعارف . ويعقب ذلك في الاهمية الحربية ، ثم الداخلية . وقد أرسلنا الى أوربا عددا من الطلاب كما تعلمون ونحن نبذل قصارى الجهد لان يكونوا متمسكين بمبادىء الدين الحنيف معتصمين بحبل الله ، حتى يتمكنوا من خدمة شعبهم أعظم الخدم .

التشريع والآداب في الافغان

س — مامنابع التشريع في بلاد الافغان؟

ج — منبع التشريع هو الشريعة الغراء . نستمد جميع قوانيننا منها . وكلنا يراعي هذه القوانين . وليس جلالة الامير غير مسؤول . بل هو مسؤول ويدعى الى المحاكمة اذا حدث خلاف بينه وبين أحد رعاياه . فالكل تحت حكم القانون المستمد من الشريعة السمحة بلا استثناء . حكومتنا حكومة شرعية ، قانونها الاساسي أحكام الشرع

س — هل تطبق المبادىء الاجتماعية في الحياة الافغانية ؟

ج — تطبق تمام التطبيق .ومن آثار ذلك أن الاشربة الكحولية لا تدخل في بلادنا أصلا . أجل ، لا تدخل هذه الاشربة الروحية في بلادنا ولا تخرج منها . كذلك لا تدخل الآفات العصرية في بلادنا . وسياجنا الحصين ، الذي يمنع دخولها في بلادنا هو ايماننا قبل كل شيء . ولن تجد امرأة عاهرة واحدة بين نساء الافغان. بلادنا والحمدلله طاهرة مطهرة، بلاد اسلامية بكل معنى الكلمة، وكل من يجرأ على خرق هذه المبادىء يلاقي عقابه الصارم في الحال

جلالة أمير الافغان

س — نسمع عن جلالة أمير الافغان كثيرا من المناقب التي نتلقاها بكل احترام وفخار. فهل لدولتكم أن تزيدونا بيانا ؟

ج — أشرح لكم كيف يقضي جلالة الامير يومه . ينتبه جلالة الامير من نومه مبكرا ويكون على رأس عمله قبل نظاره وقبل موظفي حكومته. ويشتغل مع نظاره الى الظهر حيث يتناول غداءه معهم ثم يعود بعد برهة الى العمل حتى المساء وهنالك يتريض نحو ساعتين بركوب الخيل أو المشي أو غير ذلك ثم يتناول عشاءه ويعود الى عمله حتى بعد منتصف الليل . ولهذا يلوح على جلالته آثار التعب دائما. هكذا يقضي جلالته أيام أسبوعه ولا يستريح الا أيام الجمعة. لا يتناول جلالته أي مرتب من خزانة الشعب بل يعيش من دخله الخاص معيشة بسيطة لا تفترق عن معيشة أفقر رعاياه . ولا شك أن مثل هذه الحياة تكون خالية من جميع مظاهر الابهة والعظمة الخاوية . وجلالته رجل عمل لا رجل مظاهر . وقد كان أحسن أسوة لامته للسعي والكد في سبيل ترقية البلاد اها الحديث

قال المراسل: الحق أن دولة عظيم الله خان رجل كبير من كل وجهة . فهو — عدا كونه رجل عمل ورجل دولة — رجل اسلام يشعر بعزة دينه أسمى شعور. ولذلك تراه في عاصمة ايطاليا يرتدي ملابسه التي يرتديها في عاصمة دولته ولا يستبدل بطربوشه قبعة . أي انه رجل يمثل دينه ودولته على السواء اه

(المنار) قد نشرت الصحف العامة مقالات أخرى عن الافغان وأميرهم متعددة المصادر متفقة المعنى مصدقة لما قلناه في هذه الامة مرارا آخرها ما في بحث الخلافة المستفيض وهو أن هذا الشعب هو الجامع بين صلابة الدين التي في بلاد نجد وبين الاخذ بأساليب المدنية والعمران السالمة من أخطار ومفاسد المدنية المادية الافرنجية السارية في مصر وبلاد الترك وأمثالها . ولا نرى في كلام السفير الافغاني في ايطالية مبالغة الا في قوله ان معيشة الامير لا تفترق عن معيشة أفقر رعاياه

﴿ تقريظ المطبوعات ﴾

﴿ الفطرة ﴾ جريدة عربية اسبوعية تصدر في (بونس أيرس) عاصمة (الارجنتين) صاحبها الكاتب الفاضل العاقل السيّ محمود محمد سلوم وغايتها ارشاد قرائها الى الوحدة والمدنية الراقية بسنن الله تعالى في الفطرة ، ويدخل فيها هداية دين الفطرة (الاسلام) ولذلك نرى مقالاتها الارشادية متوجة بآيات الذكر الحكيم وممزوجة بها أيضاً على المنهاج الذي أشرعه أستاذانا حكيما الاسلام وموقظا الشرق في العروة الوثقى وسلكنا جادته بالمنار ، وقد خلفت في ذلك جريدة الارجنتين التي ساءنا احتجابها . وأهم ما ننتقده منها ما انتقدنا من تلك وهو كثرة الغلط في الآيات القرآنية والاحاديث ، وتلافيه أن يراجع الكاتب او المصحح تلك الآيات في المصحف الشريف قبل طبعها ، وان يستعين على ذلك بمفاتحه ككتاب (فتح الرحمن) او كتاب (مفتاح كنوز القرآن) ويراجع الاحاديث في معاجمها واشهرها كتاب الجامع الصغير وكنوز الحقائق المطبوع على حواشيه

ونضرب لذلك مثلا مقالا[1] عقدته الجريدة في عددها ١٢ بعنوان (انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) لانكار كون هذه الجملة حديثاً نبوياً صيانة لمقام النبوة المعصوم من الامر بنصر الظالم . وقد اخطأ كاتب المقالة في انكار الحديث كما اخطأ في اكثر الآيات التي اوردها في المقالة

بنى انكاره للحديث على قاعدة صحيحة وهي ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي كالقرآن وغيره من أصول الدين وفروعه القطعية ومنها تحريم الظلم وازالته لا اقراره ومساعدة اهله عليه ، ولكن تحكيم هذه القاعدة في الحديث كتحكيمها في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) بانكار ان يكون من القرآن للقطع بأن القرآن يأمر بالصلاة ولا يمكن الجمع بين الامر بالشيء والنهي عنه . ومن علم ان هذا النهي مقيد بقوله تعالى (وانتم سكارى) لا ينكره . كما ان العالم بأن النبي (ص) فسر في هذا الحديث نصر الظالم بحجزه عن الظلم كما رواه احمد والبخاري والترمذي عن انس — ورده عن ظلمه كما رواه الدارمي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله — لا ينكره

(١) كتب هذا التقريظ منذ أشهر عقب وصول العدد ١٢ من الجريدة

وقد ظن الكاتب ان هـذا تأويل من بعض العلماء والصواب انه تتمة الحديث وفي رواية عن عائشة «ان كان مظلوماً فخذ له بحقه. وان كان ظالماً فخذ له من نفسه»

ومن الغلط في الآيات قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الخ جعل فيها « اذ » مكان « ان » ومنها قوله تعالى (١١ : ١٤ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) حذف من وسطها (وما لكم من دون الله من أولياء) ومنها قوله تعالى (٤ : ١٣٤ — يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) زاد فيها كلمة بالحق ومنها قوله تعالى(٩: ٦ وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) أورده هكذا: وان استجارك أحد من المشركين فأجره حتى يبلغ مأمنه .

وفيها من الخطأ في الحديث — متنه وتصحيحه قول الكاتب: ورد في الحديث الصحيح قول الرسول الامين « خذوا كلامي فاعرضوه على القرآن فما كان منه وفقا فهو شرع والا فهو رد » وهو مروي بلفظ آخر وغير صحيح السند ومعارض بالصحاح ، قال عبد الرحمن بن مهدي أحد أقران الامام مالك : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث « ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته وان خالف فلم أقله » وقال الشافعي ما رواه احد عمن يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير . وزعم بعضهم أنهم عرضوه على مثل قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فخالفه . والصواب أن ليس كل ما روي من الحديث موافقاً لكتاب الله فهو صحيح فمن الاحاديث الموافقة للقرآن ما لا يصح سنده بل ما هو موضوع . وأما ما خالف القرآن مخالفة صحيحة فيستحيل أن يكون النبي (ص) قاله

وقد علمنا أن صاحب هذه الجريدة من طائفة العلويين المعروفين بالنصيرية فسرنا ذلك أضعاف ما كان يسرنا لو كان من طائفة أخرى لان هذه الطائفة أشد الفرق الاسلامية تقصيراً في العلم ولم أر أحدا من أفرادها في بلادنا متعلما بصيراً بأمور العصر الا شابين أحدهما كان عضواً معنا في المؤتمر السوري العام بدمشق والثاني أديب شاعر له على حداثة سنه ذوق في الشعر وأسلوب جيد سيكون بهما من أشهر شعراء الوطن ، وأرجو أن يكون فيها كثيرون خيرا

منهما . وانني أرى في هذه الجريدة أن بعض الجالية في الارجنتين يهدونها الى بعض القارئين في الوطن فعسى أن تكون خير وسيلة الى اصلاح حال الطائفة وترغيبها في العلم والوحدة الملية من جهة والوطنية من جهة أخرى . فان الدسائس الاجنبية تدب عقاربها في القوم والوساوس الشيطانية تفعل في أذهانهم فعلها تقول لهم : انكم لستم مسلمين بل أنتم أصحاب دين مستقل يجب ان تكون لكم دولة مستقلة . ... ولكن قصارى هذا الاستقلال التفريق والضعف الذي يذهب باستقلال الوطن كله

وأما مسألة الدين الاسلامي ومكانهم منه فسيجليها العلم لمن لا يعرفها فتعلم هذه البطون العربية العريقة ان مجوس الفرس هم الذين أسسوا الجمعيات الباطنية للقضاء على ملك العرب بتفريقهم في الدين الذي جمع كلمتهم وآتاهم ذلك الملك العظيم لاجل انقاذ وطنهم منهم وإعادة ملك كسرى ودين (زردشت) وقد كانت دسائسهم من اسباب اضعاف العرب واذهاب ملكهم ولكن الاسلام ظل هو الحاكم لبلاد الاكاسرة الى اليوم

﴿ محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها والفلسفة العربية وعلم الاخلاق ﴾

في الجامعة المصرية

قد طبع منذ عامين أو أكثر ما ألقاه الاستاذ (الكونت دي جلارزا) الاسباني من هذه المحاضرات في الجامعة المصرية في ثلاثة أجزاء جمعت في كتاب واحد نافت صفحاته على ٢٥٠ وجعل ثمنه ثمانون قرشاً صحيحاً، فمن يقرأه من طلاب الفلسفة كان كأنه واظب على تلك الدروس في تلك السنة، وكان هذا الكتاب مما ادخرت لاقرأه فأكتب عنه بعد القراءة فحالت الضروريات دون ذلك بل ضاق الوقت عنها

﴿ أسرار المراهقة في الفتى ﴾ « وهي محاورات دارت بين أب طبيب وابنه تبحث في شؤون دور البلوغ في الفتى وفي أهمية وظائف أعضاء التناسل وكيفية الاحتفاظ بها سليمة ونصائح قيمة عليها تتوقف صحة الابدان ونضارة العمران » تأليف الدكتور شخاشيري الطبيب والجراح في المستشفى الانكليزي بمصر القديمة —

جرى العرف العام على عد كل ما يتعلق بشؤون داعية التناسل من بدء الاستعداد الطبيعي لها الى غاية حصول ثمرتها من الامور السرية التي يخل إظهارها والتحدث عنها بالآداب ويرمي صاحبه بالمجون والخلاعة ، فقلما يسمع الفتى كلمة من أهله أو أصحابه عن معنى بلوغ الحلم إلا ما يتلقاه طالب علم الفقه الاسلامي من أحكام غسل الجنابة وبناء على هذا العرف سمي هذا الكتاب الذي بين مؤلفه موضوعه بأسرار المراهقة — وجرى فيه على تعريف المراهقين بما سيجدونه في أنفسهم من شؤون هذا الطور الجديد بأسلوب علمي طبي نزيه ، ولكن تلك الآداب قد طوي بساطها في هذا العصر عند اكثر أهل هذه البلاد وأمثالها فصار أعمق الاسرار فيها جهرا قلما يجهله فتى أو فتاة إلا في بيوت قليلة ، والكتاب يفيد هؤلاء وغيرهم لان الذين يعرفون أسرار المراهقة والبلوغ يعرفونها من المجان والفساق المقاربين لهم في السن أعني أنهم يعرفون منها ما تضر معرفته والكتاب يرشدهم الى ما يتقون به هذا الضرر فلا يستغني عن مثله منهم أحد، وقد طبع على ورق جيد في ٦٨ صفحة القطع الصغير وهو يطلب من مؤلفه ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش واجرة البريد قرش واحد

﴿ القول المفيد * في أدلة الاجتهاد والتقليد ﴾ للامام المجتهد القاضي محمد بن علي الشوكاني قال في أوله « طلب مني بعض المحققين من أهل العلم أن أجمع له بحثا يشتمل على تحقيق الحق في التقليد أجائز هو أم لا على وجه لا يبقى بعده شك ولا يقبل عنده تشكيك ولما كان هذا السائل من العلماء المبرزين كان جوابه على نمط علم المناظرة » وقد طبع هذا الكتاب في العام الماضي فبلغت صفحاته زهاء الستين من قطع المنار وصححه وعلق عليه بعض الفوائد صديقنا الشيخ محمد منير السلفي من علماء الازهر . ولكن بقي فيه غلط كثير لعل سببه رداءة النسخة التي طبع عنها ، وهذا لا يمنع الاستفادة من الكتاب فنحث جميع المشتغلين بعلم الدين الصحيح بالنية الشرعية الصحيحة أن يعالجوه ، وسننقل نبذة منه في جزء آخر ان شاء الله تعالى وثمن النسخة منه ثلاثة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر